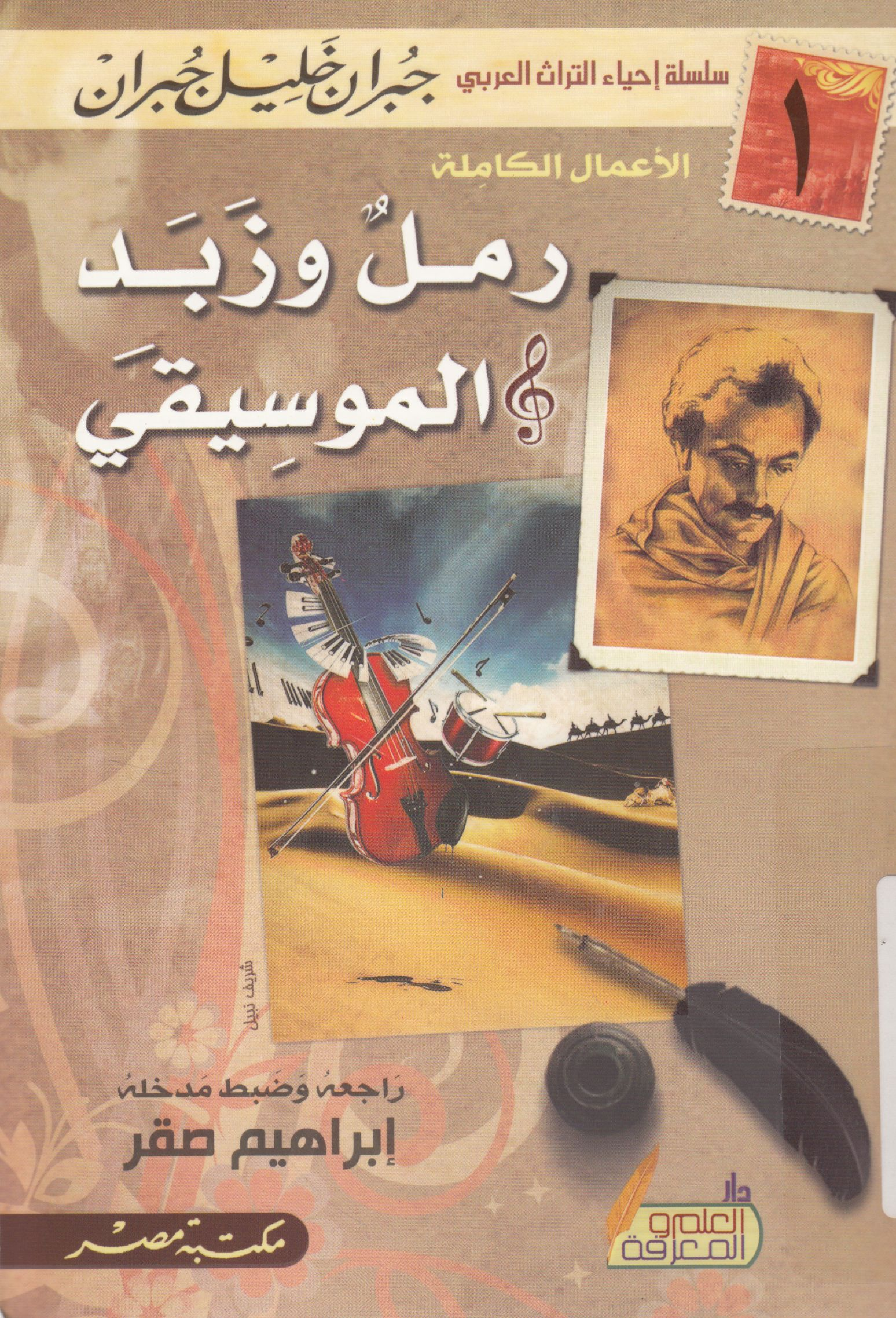


١
سلسلة إحياء التراث العربي
جُبران خَلِيل جُبران
الأعمال الكامِلة
رملٌ وزَبَد
الموسِيقَى
شريف نبيل
راجعهُ وَضبط مَدخلهُ
إبراهيم صقر
مكتبة مصر
دار العلم و المعرفة

رمـــل وزبـــد
والموسيقى

سلسلة إحياء التراث العربي

جبران خليل جبران

رمل وزبد

والموسيقى

تقديم

كرم الدكروري

راجعه وضبط مدخله

أ/ إبراهيم محمد صقر

الناشر

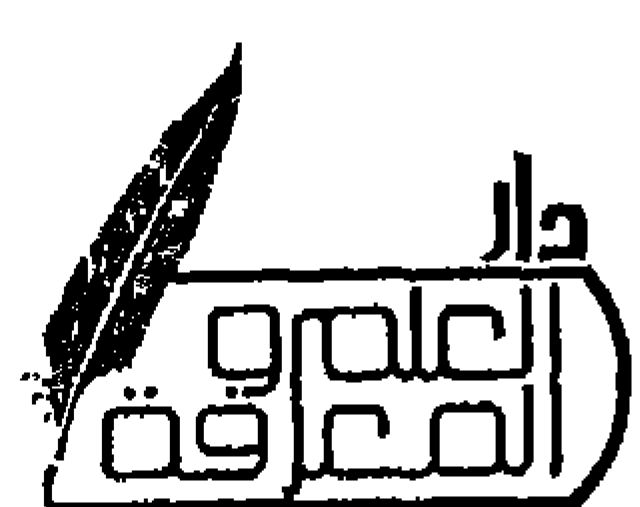
دار العلم والمعرفة

اسم الكتاب : رمل وزبد والموسيقى
تأليف : جبران خليل جبران
القطع : ١٤ × ٢٠
عدد الصفحات : ٨٠ صفحة
سنة الطبع : ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م (طبعة جديدة منقحة)
الناشر : دار العلم والمعرفة
طباعة : دار مصر للطباعة - القاهرة

رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية - مصر
٢٢١٤٢ / ٢٠١٠
الترقيم الدولي: 977-11-1623-2

٢٠ ش عبد المنعم رياض - من ش حسني مبارك
زهراء مدينة نصر - القاهرة
ت : ٠١٢٢٣٨٨٨٩٣٠ - ٠١١٢٣٣١٢٢٨
E-mail : almmarfa@yahoo.com
almmarfa@gmail.com

عبلين - الجليل - فلسطين
جوال : ٠٥٢٣٠٧٧٣٣٤ (٠٠٩٧٢)
٠٥٢٨٥٠٢٨٢٦ (٠٠٩٧٢)
فاكس: ٠٤٩٥٠٢٤٧٢ (٠٠٩٧٢)



تقــــديم

رفَض المطارنْة الاشتراكَ في مراسِمِ استقبَالِ جُثمان جُبران خليل جبران، في عام ١٩٣١م لُيدفنَ -بِنَاء علَى وَصيّته- في بلدة بشرّي شَمال لُبنان. بَعد نَقل جُثمانه عَبْر البحرِ، مِن أمريكا، لأنّه «كَافرٌ وُمهرْطِق»، بِزَعم هُجُومه علَى الكهنة.

وقبلَها رَفَض كاهنُ الكنيسةِ المارُونيّةِ في نيويورك أنْ يُعطيَ تصريحًا لِكَاهِن الكَنيسةِ المارُونيّة في بوسطن بالصَّلاة على جُثمانِ جُبران لأنَّه -أي الكاهنُ- زَار جُبران في المُستشفى، «وعرفَ مِن الراهبةِ أنه رفَض الاعترافَ بأنّه كَاثوليكيّ».

خشِيت فَرنسا التي كَانت تُسيطرُ عَلى مقَاليدِ لُبنَان أنْ يَضعَها رِجالُ الدينِ المَسيحيّ في حَرَج بَالغ أَمَامَ العَالم بعَدَم الصّلاة عَلى جُثمان الفَيلسوفِ والأَديبِ، والرسَّام الذي بَهَرَتْ كِتَاباتُه الغَربَ، واعتبرتْه جَريدةُ «النيُويورك هيرالد»:

«نَابِغة الملاَيينِ الذينَ يتكلَّمون العَربيَّة في الشَرق».

تدخّلَ سِكرتيرُ المطبُوعاتِ التَابعُ للمندوبِ الفَرنسيّ، بِمُساعدةِ

آخرينَ وشكّلوا وفْدًا وذَهبوا إلى مقرّ البَطريركِ المَارونيّ، إلياس الحُويك، لإقناعِه بِالعُدولِ عَن مُوقفِه، واستَعانَ أَحدُ المطَارنةِ بِكلماتٍ لجُبرانَ ليثبتَ بها صِحّة مَوقفِهم الرَّافِض له تقول:

«في لُبنان، ذلك الجبل الغنيّ بِنور الشمسِ، الفَقيرُ إلى نُور المعْرفَة، قد اتّحدَ الشَريفُ -يَقصِدُ الإقطاعيّ- والكَاهنُ على إبَادةِ الفَلّاح المسكين، الذي يَأكلُ خبزَه بِعرق جَبينِهِ، كيما يَحمِي جَسدَه مِن سَيفِ الأَولِ، ويَحمِي روحَه مِن لعْنَة الثّانِي».

وتَابعَ المطَارنةُ: هَل يُعقلُ أن نُكرمَ ونستقبلَ مَن له هذا الرّأي في الكَهنة؟

فأجَابَ أحدُ أعْضَاءِ الوفد المُدافع عن جُبران:

«إنّ كُتبه تُقرأ في كَنائسِ أمرِيكا، فَهل يُعقل أن يكونَ كَافِرًا مَن يَقولُ مُخاطبًا السيدَ المسِيحَ في كِتَابه «يسوع ابن الإنسان»:

«وأنتَ أيها الجبّارُ المصلوبُ، النَاظرُ مِن أَعَالي الجَلْجَلة إلى مُواكبِ الأَجيالِ، السَامعُ ضَجيجَ الأُمـمِ الفَاهمُ أَحلامَ الأَبديّةِ... أنتَ عَلى خَشَبة الصّليب المضرّجَة بِالدّمَاء، أَكثرُ جَلالاً ومُهابةً مِن أَلْفِ مِلِك علىَ ألفِ عَرْش، في أَلْفِ مملكة... بلْ أنتَ بَين النزعِ

والموتِ، أشدُ هَؤلاءِ قوّةً وبَطشًا مِن أَلفِ قَائِدٍ وأَلـفِ جَيش، وألـف معرَكة... أَنـتَ بِكآبتِك أَجمـلُ مِـن الرّبيـع بِأزهَـاره، بَـلْ أنـتَ بـينَ الجَلّادِين أكثرُ حُريةً مِن نُورِ الشَمسِ.. إنّ إكليلَ الشّوكِ عَلى رأسِـكَ، هوَ أجلّ وأجملُ مِن تَاج بهرام، والمسمارُ في كفّك أثمَـنُ مِـن صَـولجان المـشترَى، وقطـراتُ الـدّماءِ عـلى قَـدَميك أسْـنى لمعانًـا مِـن قَلائِـدِ عشتروت».

تَأثّر البَطريركُ وبَكى. وقَـالَ آمـرًا الكَهنـة: «انْزلـوا إلىَ بَـيروت، واستقبلوا جُثمان جُبران، فهو أكثرُ تَدّينًا مِنّا».

استَقبلَ جُثمان جُـبران نحـو ١٦٠ كَاهِنًـا في مَـأتمٍ جَلَـلٍ شَـهدتْه كَاتِدرائيةِ القدّيس جِرجِس في بيروت.

فَشَلَ الثّرى في أنْ يقبُرَ «عواصفَ» جُبران، وعاشتْ فَلسفتُه لتَثيرَ غَـضبَ مُعظـمِ رِجَـالِ الـدّين -مَـسيحيين ومُـسلمين- وحَنـاجرَ المُتَشدّدين وسخَطَ المقلّدِين ممّن صَدَأتْ أروَاحُهم وأُغلقتْ عُقـولُهم. وسَيظلُّ جُبران نَاقوسًا مُزْعِجًا مَـا بقـيَ الـشَرقُ جَـسدًا تَنهـشُه عِلَـلُ البَلاَدة، وأهلُه يتلذّذُون ركوعهم مِن المهْد إلىَ اللّحدِ أمَـامَ طَـواغِيتِهم ومَا أَلفَوْا عَليه آباءَهم، دُونَ أنْ يَتأملُوا الحَياةَ ويُعِيدوا مَعرفةَ أَنّفـسِهم بِوعْيٍ وَفكْر طَلِيق.

جُبران خليل جبران
١٨٨٣م-١٩٣١م
حياتــــه وآثــــاره

مولده.. نشأته.. سفره

وُلد جُبران في بَلدة بـشرّي المتّكئـةِ عَـلى كَتِـف وَادي قاديـشا، في ظِلالِ الأَرْز حَيثُ تَتَفجرُ الأَرضُ مَاءً وخُضرةً وزهرًا، والثُلوجُ تعمّم الجِبالَ مُعظمَ فُصولِ السنة، وكَانت وِلادتُه صَباحَ السَادسِ مِن كَانُون الثاني (يناير) سنة ١٨٨٣م، في كَنَفِ عائلةٍ قليلـةِ المـواردِ مؤلّفـة مِـن الأب خليل، والأم كامِلة رحمة التـي كَـان لهَـا مِـن زَواج سَـابق ولـدٌ اسمُه بُطرس، ورُزقت مِن زَواجها مِـن خليـل جُـبران ثلاثـةَ أَولاَد: جُبران أكبرهُـم، وأُختَاه مَرْيانَا وسُلطَانة.

في الخَامسةِ مِن عُمره تَلّقَى مَبادئَ العَربيّةِ والفَرنـسيّة والـسِّريانيّة في مَدرسةِ أليشاع «تحت السّنديانَة» وتعرّفَ عَلى النَهضةِ الإيطاليةِ مِن جَرّاء تردّده علَى مَركزٍ للرُّهبَان الإِيطَالِيين.

أُصيبَ والده بِنكسة ورَاحَ ضَـحيةَ تُهمـة أودَت بـِه إلِىَ الـسّجن، فَلملَمت كَامِلة رحمة نفسَها وسَافَرت مَع أولادها الأربعـة: بُطـرس، وجُبران، ومريانا وسلطانة إلى أمريكا، سنة ١٨٩٤م.

في بوسطن:

استقرتِ العَائلةُ في الحيّ الصينيّ مِن مَدينةِ بُوسطُن، حَيثَ دَخـلَ جُبران مَدرسةً شَعبيةً تَعلّم فِيها أصولَ اللغةِ الإنجليزيّـة، وكَـانَ لـه، بِفضلِ مُعلّمته الأمريكية، لِقاء مَع «فريد هولاند» الذي سـاعدَه عَـلَى دِراسةِ تِقنيةِ الرسْمِ ومكّنه مِنْ مُواصَلة تَعلّم الإنجليزية.

وبَعد ثَلاث سَنوات مِن العَملِ والكَدّ، استَطاع أَفـرادُ أسرتِـه أن يَجمعُوا مِقدارًا مِنَ المَال مَكّنهم مِن إرسَال جُبران إلى بَيروتَ ليـدرُسَ اللغَةَ العَربيةَ والفَرنسيّة، لأَنهـم تَوسّـموا فِيـهِ الرجـلَ النَابغـةَ الـذي سَيكون له مُستقبلٌ بَاهر، ومكانةٌ سامِقة، في عَالم الفِكر.

بيروت: مدرسة الحكمة

في بَيروتَ التحَقَ بِمدرسة «الحِكمة» وطُوال ثَلاثة أعَوام اسْتَطاعَ أن يُوسّعَ مَعرفتَه باللّغة العَربيّة، وتتفتّحَ له، بفـضلِها، آفـاقٌ جَديـدة، وكانَ له رُفقاءُ وطّد معرفتَه بهـم، ومِـنهم النحّـات يوسُـف الحويـك الذي سيكونُ لَهُ شَأنٌ كَبير في حيَـاة جُـبران. وكَـان مُعلّمـه في اللُغَـة العَربيّة الخوري يوسُف الحدّاد الذي اسـتَقَى جُـبران مِنـهُ اللُغَـةَ مِـن مُورِدهَا العَذْب، فَأجادَهَا وأَبْدعَ فِيهَا.

العودة إلى بوسطن: تجربة الموت

وفي عام ١٨٩٩م، عامَ عَودته إلى بُوسطن بَدأَ في مُزاوَلـةِ الرّسْـم والكتَابةِ، لَكنّ الفَواجِعَ العَائِلية تَوّالت عَليهِ فَأوقَفتهُ مُرغَمًا أمَام تَجرُبة الموتِ، وذَلك عِندَما مَاتت أُختُه الصُغْرَى سُلطَانة بِمرض السّل عَـام ١٩٠٢م، ولِحِقَ بها أخوه بُطرس، ثُمَّ أمّه، في السنةِ التَاليـة، وبِـالمَرض عينهِ، فَاستوْلى الحُزْنُ واليَأسُ عَليه، وَعبّر عَن ضَراوة ألمـه بِقولـه بَعـد مَوتِ أمّه: «فَقدتُ يَنبوعَ الحُنوّ والرَأفَةِ والغُفْرَانِ والصّدرَ الذِي أسـندُ إِليه رَأسي، واليَد التي تُبَارِكني وتَحرُسني».

إلاَّ أنّ هَذهِ الفَواجِعَ لم تهدّ عَزيمَةَ جُبران، بـلْ وجـدَ فِيهَـا حَـافزًا للانطِلاقِ مِن جَديدٍ في عَـالمِ الفَـنّ، واسـتطَاعَ سَـنة ١٩٠٤م أنْ يُقيـمَ مَعرِضًا لرسُومه الرّمزيّة، تَعرّفَ خِلاله إلىَ سَيدةٍ أمريكية تُدعىَ «ماري هاسكل»، وعَلَى جَانب مِنَ الثّـراء، فَقـد أُعجِبـتْ بِرسـومِه وأَظهـرتْ إعجابَهَا بها، ودَعتْه إلى عرْضِها في المدرسةِ التِي كَانت تديرُها.

وقدْ كَان لماري هَاسكل هَـذهِ دَورُهَـا الحَاسـمُ في تَوجِيهـهُ الأَدبيّ والفَنيّ. فَقدْ مَنحت الفَنانَ النَاشئَ رِعَايتَها ومُسَاعدتَها فأكـبّ يَرسُـم ويكتُب، وَينطلِق، وبِالتَـالي، في عَـالم الـشُهرة، وشِـعارهُ: «لا أريـدُ أن أكتُبَ اسمي بِماء عَلَى سِفْر الوجود، بَل بِأحرفٍ مِن نَار».

وفي العَام نفسه، ١٩٠٤م التَقَى جُـبران أمـين الغريـب صَـاحبَ جَريدة «المُهاجَر» فأُعجِبَ هَذا الأَخيرُ إِعجَابًا شَديدًا بِخَواطرِ جُـبران ورُسُـومِه. وعَـرضَ أن يَنـشرهَا في جَريدَتـه، وفي آذار (مـارس) مِـنَ السّنَةِ نَفسِها ظَهرَ أولُ مَقَال لجُبران عِنوانُه: «رُؤيَـا» وكَـان لَـهُ صَـدَاهُ الواسِعُ والعَمِيقُ والبَليغُ لَدَى القُراءِ مِنْ حَيثُ طَرَافَةِ النّهج والإِبـدَاعِ في الخَيَالِ.

هَذهِ الانطلاَقةُ شَجَعتْه عَلَى أنْ يَجمعَ مَا كَـانَ ينـشُره في الـصّحف مِن مقَالاتٍ وأقَاصِيصَ في ثَلاثةِ كُتُبِ نَشرَها عَلَى التوَالي خِلالَ أَربَـع سَنوات وَهيَ: المُوسـيقى (١٩٠٥م)، وعَـرائِس المُـرُوج (١٩٠٦م)، والأَروَاح المُتمَردَة (١٩٠٨م).

باريس: تجربة فنية لامعة

وكانَ جُبران أبدَى لماري هاسكل رَغبتَه في تَعلُّم أصـولِ الرّسـمِ في بَاريسَ، فَلم تَقفْ ماري حَائِلاً دُونَ تحقيقِ رَغبتِهِ، إذْ لم تَكُـن تَـضِنَّ عَليهِ بِالمُسَاعَدة الماديّة. كَمَا لم تكُن تَضِنّ عَليـهِ بِحنَانِهـا، فلّبـت رغبتـه وأرسَلتهُ إلى باريس عام ١٩٠٨م.

وفي باريسَ أقَـامَ سَـنتين يختلـفُ إلى مَدرسَـة «الفنُـون الجَميلـة» ويَتلقىَ دُروسَ «أكَادِيمية جُوليَان» التي لم يَطُلْ بِه الوَقتُ حَتى تَركَهـا

لُيمَارِسَ الرسّمَ الحُرَّ في مُحترف اسْتَأجرَه هُو وصَدِيقُه النّحَات يُوسف الحويك. وكَانت هَذهِ المَرحَلةُ مِنْ حَيَاتِه محطّةً بَارِزة فَتحت لَهُ آفَاقًا جَديدة. ولم يَنسَ «لُبنانه» فظلَّ يحِنّ إليهِ ويَتَذكّره شَمسًا طَالِعةً مِن وَرَاءِ صَنين، أو جَانِحةً إلى الغُروب. وطلولاً وأودية يَنسَاب مِنها السّحْر انسِيابَ العِطر مِن الزهْر الفوّاح. أمَا الكسْبُ الرَفيعُ الذي نَالهُ في بَاريس والذي ملأهُ عزّة وفَخرًا. وهُوَ أنَّ الجَمعية الوطنية للفِنون الجَميلة، في بَاريس، اختَارت إحدَى لَوْحَاته مِنْ بَين تِلكَ التي عَرَضَها في المَعرِض الذي أقَامته. فَلا تَسلْ، إذ ذَاك، عَن نَشوة الفَنانِ التي تَفُوق كُلّ وَصْف.

إلى بوسطن فنيويورك

عَام ١٩١٠م عَادَ إلىَ بُوسطن، وانتقلَ عَام ١٩١١م إلى نيويورك بِإلحَاح مِن أَمِين الريحانيّ الذي التقَاهُ في بَاريس، فَاستَأجرَ غُرفةً في غرينتش، حَيّ الفَنَانِين في تِلكَ المَدينَة، ونشر في السنة ١٩١٢م «الأجنحة المتكسرة» وهِيَ قصّة جَمع جُبران بَينَ دِفتَيها أصْدَاءَ خَفقَاتِ قَلبِه حَتىَ تعرّف، أثنَاء إقَامَته بَينَ بيرون وبشرّي إلى حلا الضاهر، وأَهْدَى هَذَا الكِتابَ عَربونَ وَفاءٍ إلى ماري هاسكل «التي تحدّقُ بِالشمسِ بِأجفَانٍ جَامدة، وتَقبضُ عَلَى النَّار بِأصابعَ غَيرِ مُرتَعشة،

وتَسمعُ نَغمةَ الرُوح الكلّي مِن ورَاء ضَجِيج العُميان وصُرَاخِهم».

في سَنة ١٩١٤م جَمعَ في كِتَاب أسمَاه «دمعة وابتسامة» مَقَالاتٍ كَانَ قَد نَشرَها في بَعض المجلّات والصّحُف. وفي الآنَ نَفْسه، كَانت ماري هاسكل تُشّجِعُه وتَدْفَعُه عَلَى الكِتَابةِ باللغَة الإنجليزية؛ فَأصدَر «المَجْنُون» سنة ١٩١٨م، و«السَابِق» سنة ١٩٢٠م.

وفي اللُّغَة العَربيّة صَدَرَ لَهُ «الموكب» سنة ١٩١٩م، و«العَوَاصِف» سنة ١٩٢٠م، و«البَدَائِع والطَرَائِف» عام ١٩٢٣م.

إبّانَ الحَرب العَالميةِ الأولَى، حَلّت الكَارِثة بِلُبنَان فَجوّعت أبنَاءَه وشرّدَتهم وقَضْت عَلَى الآلافِ منهم، فَتنغّص عَيشُ جُبران، وعبّر في سِلسِلةٍ مِنَ المقَالاتِ التي نَشَرهَا، عَن هَوْل الفَاجِعةِ وأثرِهَا في نَفسِهِ، ولم يَكتفِ بالكتابةِ بَلْ سَاهَم مَعَ بَعض إِخْوَانِه الأُدبَاءِ في إِنْشَاء لجنَة إِغَاثةِ المَنْكُوبينَ التي استَطَاعت أنْ تُخفّف -بَعضِ الشَيءِ- مِن وَطأة المأسَاةِ عَلَى اللُبنَانِيين.

تأسيس الرابطة القلمية:

في هَذِهِ المرحَلة توَطّدت عِلاقَاتُ جُبران بِكَثيرٍ مِنَ الأُدَبَاءِ اللُبنَانِيين والسُورِيين فِي المهاجَر، فعَقدُوا الاجتمَاعَاتِ الكَثِيرةَ وقَرّروا

إنشَاءِ جَمعيةٍ تَنهضُ بِالأدب العَربيّ الرّاكدِ إلىَ المُستوى العَـالميّ. وبَعـدَ أَنْ وَضـعت الحَـربُ أَوْزَارَهَـا، اسّـتَمرت الاتـصالاتُ بَـينَ هـؤلاءِ الأُدبَاء، التي انْتَهت بِتَأسِيس «الرَابِطَـة القَلَميّـة» التـي كَـانَ شِـعَارُهَا انتِشَال الأَدَب العَربيّ «مِنْ وَهدَة الخُمُول والتَقلِيـدَ إلىَ حَيـثُ يُـصبِحُ قُوةً فَعَّالة فِي حَياةِ الأمّة».

تَأسَـسَت الرَابِطَـةُ سـنة ١٩٢٠م بِرئَاسَـةِ جُـبران، وكَـانَ سَـائرُ أَعضَائها المؤَسّسِين: ميخائيل نعيمه، نسيب عريـضة، رشـيد أيـوب، ندرة حداد، وليم كستفليس، إيليّا أبو ماضي، ورشيد الباحوط.

غَيرَ أنّ اهتمامَهُ بِأمُور«الرابطـةِ القَلميّـة» لم يَـصْرفْه عَـن الاهـتِمامِ بِنتَاجِـهِ الشَخـصيّ فَأصـدَر سـنة ١٩٢٣م رَائِعتــه «النَبـيّ» بِاللغَــة الإنجلِيزية. قَالَ عَنهُ: «إنّه دِيَانتِي وأقدسُ قُدسيّاتِ حَيَاتي». وقال عنه لماري هاسكل فِي إِحدَى رَسَائِله: «أُريدُ أنْ أَحيَـا الحَقِيقَـةَ. بَـدَلاً عَـن الكِتَابةِ عَن النَّار. أفضّلُ أنْ أكُونَ جَمْرةً تَتأجّج، أُرِيدُ أَنْ أَكُـونَ مُعَلـمًا. وبِما أنيّ مُستوحَد أُرِيدُ التَحَدُّث إلىَ جَميع المستوحدين».

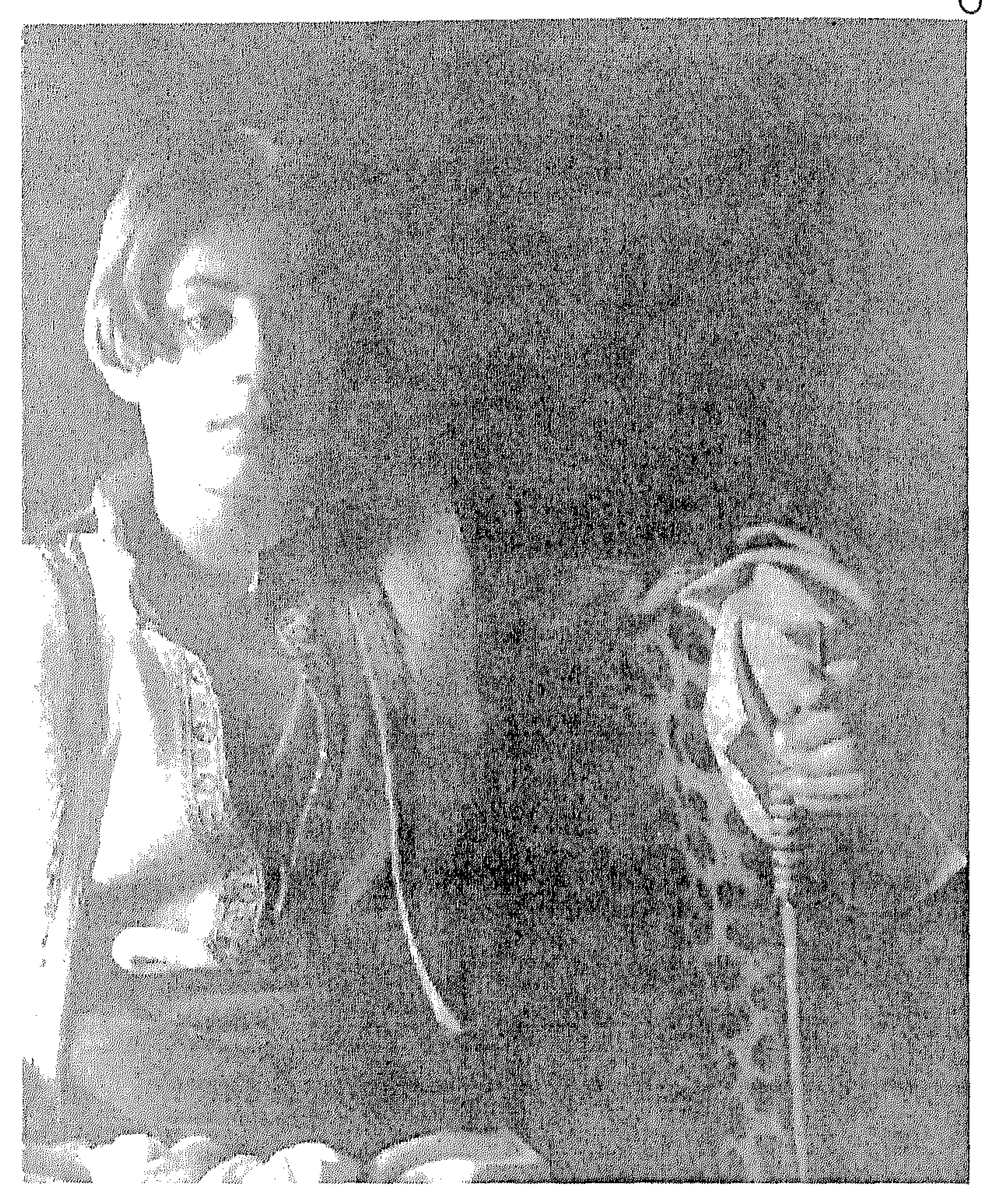
مرضه وموته:

ومَعَ أنّ المرضَ لازَمَهُ كَطِيفٍ فَقَـضّ عَليـهِ مَـضجَعَه، إلاّ أنّـه مَـا

استَسلمَ لمشِيئةِ القَدَر، فَلم يَنْقَطِعْ يَومًا عَن الرّسْم والكِتابةِ، واستَطَاعَ أنْ يُصدِر عَلَى التوَالي في اللُّغَة الإنجليزية: رَمل وزَبَد (١٩٢٦م)، يسوع ابن الإنسان (١٩٢٨م)، آلهة الأرض (١٩٣١م سنة وَفاته) وصَدَر «التَائِه» سنة ١٩٣٢م، أي بَعدَ وَفَاتِه بِسَنةٍ وَاحِدة. و«حَدِيقَة النَبيّ» سنة ١٩٣٣م.

لكنّ طَاقةَ جِسْمَه اسْتَنفَذَهَا جُبران في عَمَلِه المُرهَق، فَلفَظَ أَنْفَاسَه الأَخِيرة في ١٠ من نيسان (أبريل) سنة ١٩٣١م، ونُقل جُثمانُه صَيفَ ذَلِكَ العَام إلىَ مَسقَط رَأسَه بشرّي، بِنَاءً عَلىَ وَصيّته. وكَانت رَقدَتُه الأَخِيرةُ في صَوّمَعةِ دِير مَار سَركِيس المُطّلةِ عَلَى الوادي المُقدّس.

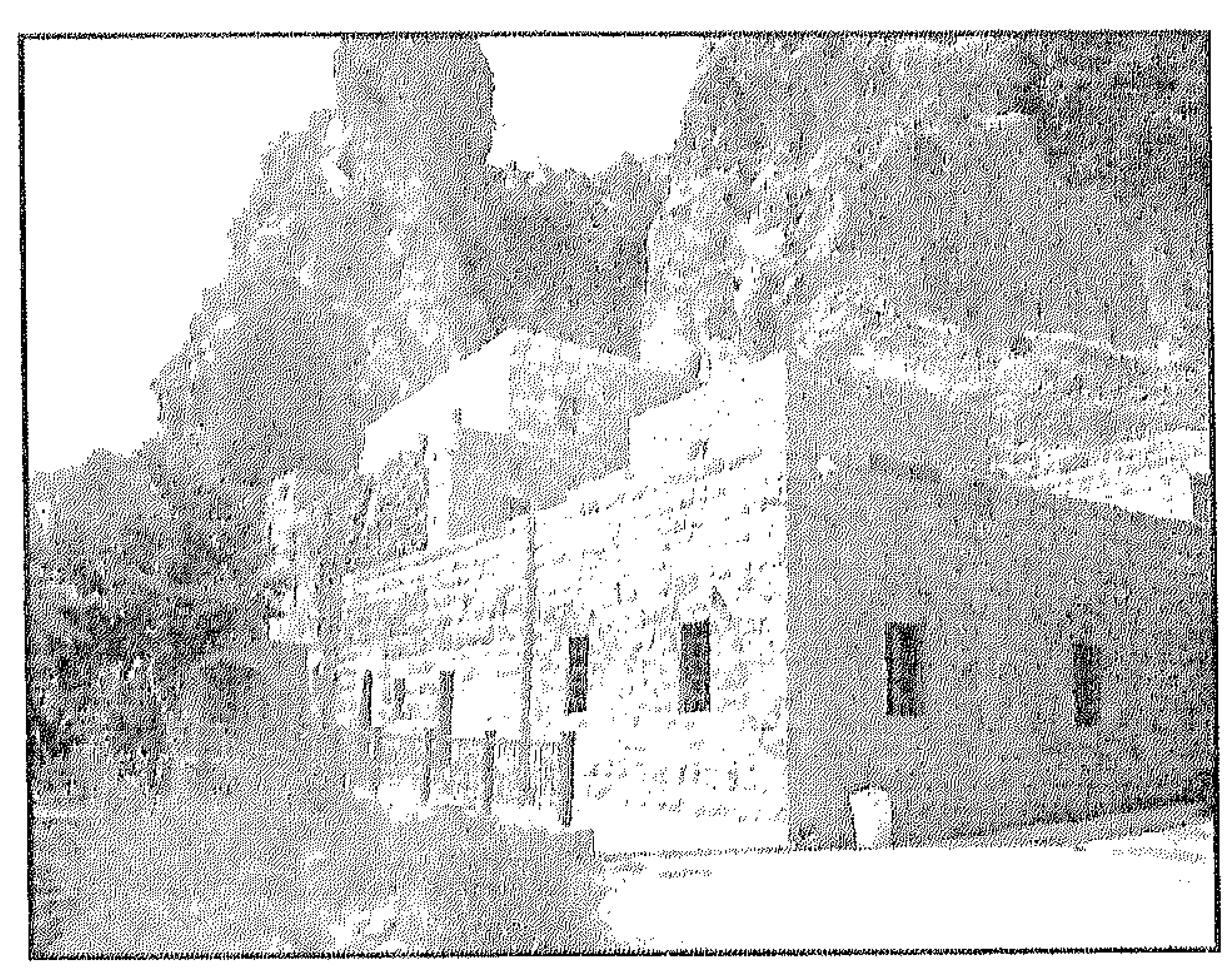
□□□



جبران في مدرسة الحكمة — بيروت



منزل جبران في بشري



قبر جبران ومتحفه في غابة مار سركيس

كلمة المترجم

زرت الـصديق جـبران منـذ أسـبوع في مكتبـه، وإن شـئت فقـل صومعته، في مدينة نيويورك، بعـد غيـاب سـنتين كـاملتين قـضيتهما في الجهات الغربية من أمريكا الشمالية، وبعد التحية والسلام سألته قائلاً:

«إنني من المؤمنين»، «بالميلاد الثاني»، وقد قال «النبي»:

«قليلاً ولا ترونني وقليلاً ترونني،

لأن امرأة أخرى ستلدني[1].»

فهل ولد هذا النبي المحبوب ثانية؟ ومتـى.. وأيـن؟ ومـاذا دعـى اسمه؟

فأجاب وقال: «لقد ولد منذ أسبوع، ودعى اسـمه (رمـل وزبـد) وها هو يمثل بين يديك».

قال هذا ودفع إليَّ كتابه الإنكليزي الرابع، الذي سماه «رمل وزبد» وأودعه أفكاره منثورة بالآيات والحكم.

وقد بادرت في الحال إلى ترجمته ليكـون حلقـة رابعـة في السلـسلة

---

(١) راجع كتاب النبي.

التي أولها «المجنون» وثانيها «السابق» وثالثها «النبي».

وقد تلطف المؤلف الأديب فاختص هذه الترجمة بكلمة وأنشودة يراهما القارئ الكريم في صدر هذا الكتاب بعد هذه الكلمة.

ولابد لي في هذا المقام أن أعيد ما سبقت فقلته في مقدمة «النبي» من الملاحظات التالية:

١) جبران يصور فكره قبل أن يعبر عن بالألفاظ لأنه من نوابغ المصورين الفنانين، لذلك فليعن القارئ بدرس صورة كل فكر من أفكار المؤلف قبل أن يدرس الألفاظ التي تعبر عنها.

٢) جبران مفكر عميق وشاعر غير مخير من شاعريته، فكل عبارة تخرج من فمه ملؤها الشعر والفكر، فإذا لم تشاطر جبران شعوره، وتصبغ فكرك بصبغة فكره، فعبثًا تحاول أن ترافقه في سياحاته.

٣) وضعت في ترجمة «النبي» العربية الرسوم الاثنى عشر التي رسمها المؤلف للأصل الإنكليزي. وأضع الآن في هذا الكتاب الجديد من الرسوم السبعة التي يكفي لوضعها أنها من ريشة جبران. ومع أن هذا النوع من التصدير الرمزي جديد في العالم العربي فإنه أجمل ما تزين به المتاحف ودور العلم وبيوت العبادة في العالم الغربي. لذلك

فلينظر القارئ إلى الحقيقة التي يرمز إليها كل رسم من هـذه الرسـوم قبل أن يقتصر نظره على الرسم نفسه.

٤) ليس هذا الكتاب روايـة أو قـصة يكفـي أن يمـر بهـا القـارئ ليدرك فحواها ويفهم الحقيقة المنطويـة عليهـا، ولكنـه مجموعـة آيـات وحكم في فن وفلسفة وشعر وجمل، فلا تترك عبـارة مـن عباراتـه قبـل أت تقف على الحقيقـة التـي وراءهـا، وتـتفهم العقيـدة الجديـدة التـي تحملها إليك. فإن جاءت مثبتـة لمـا لـديك فاقتبلهـا واحـتفظ بهـا وإن جاءت غريبة عما عرفته وألفته، فلا ترفضها، بـل ضـعها في دائـرة مـن ذاكرتك ثم عد إليها بعد حـين، متـذكرًا أن الـذين اضـطهدوا غـاليلو واحتقروا آراءه الغريبة ما كانوا ليضطهدوه لو عـاد وعـادوا إلى الحيـاة اليوم!

ديسمبر سنة ١٩٣٦

الأرشمندريت أنطونيوس بشير

***

كلمة المؤلف

ليس هذا الكتاب الصغير بأكثر من اسمه «رمل وزبد» حفنـة مـن الرمل وقبضة من الزبد.

وبالرغم مما ألقيت بين حباته من حبات قلبي، وبالرغم مما سكبت على زبـده مـن عـصارة روحـي، فهـو الآن، وسـيبقى أبـدًا أقـرب إلى الشاطئ منه إلى البحر، وأدنى إلى الشوق المحدود منه إلى اللقـاء الـذي لا يحده البيان.

بين جانحي كل رجل وكل امرأة قليل من الرمل وقليل من الزبـد ولكن بعضنا يبين ما بين جناحيه وبعضنا نخجل.

أما أنا فلم أخجل. فاعذروني وسامحوني.

نيويورك في ديسمبر سنة ١٩٢٦

جبران خليل جبران

***

أنشودة الكتاب

ماذا تقول الساقية ....؟

سرت في الوادي وقد جاء الصباح معلنًا سـر وجود لا يزول

فـإذا سـاقية بين البطـاح تتغنى وتنادي وتقـول:

ما الحياة، بالهناء؟

إنما العيش نزوع ومرام.

ما الممات، بالفناء؟

إنما الموت قنوط وسقام.

ما الحكيم بالكلام؟

بل بسر ينطوي تحت الكلام.

ما العظيم بالمقام.

إنما المجد لمن يأبى المقام.

ما النبيل، بالحدود.

كم نبيل كان من قتلى الجدود.

ما الذليل، بالقيود؟

قد يكون القيد أسنى من عقود

ما النعيم، بالثواب؟
إنما الجنة بالقلب السليم
ما الجحيم، بالعذاب؟
إنما القلب الخلي كل الجحيم.
ما العقار، بالنضار؟
كم شريد كان أغنى الأغنياء.
ما الفقير، بالحقير؟
ثروة الدنيا رغيف ورداء.
ما الجمال، بالوجوه؟
إنما الحسن شعاع للقلوب.
ما الكمال، للنزيه؟
رب فضل كان في بعض الذنوب

●●●

ذاك ما قالته تلك السـاقية لصخـور عـن يمين ويسـار
رب ما قالته تلك السـاقية كان من أسرار هاتيك البحار

رمـــل وزبـــد

على هذه الشواطئ، أتمشى أبدًا،
بين الرمل والزبد.
إن المد سيمحو آثار قدمي.
وستذهب الريح بالزبد.
أما البحر والشاطئ فيظلان إلى الأبد.
ملأت يدي مرة بالضباب.
ثم فتحتها، فإذا بالضباب قد صار دودة.
وأغلقت يدي وفتحتها ثانية، فإذا هنالك عصفور.
ثم أغلقت يدي وفتحتها للمرة الثانية، فإذا في راحتها رجل حزين الوجه ينظر إلى العلاء.
وأغلقت يدي رابعة، وعندما فتحتها لم أر فيها غير الضباب
ولكنني سمعت أغنية بالغة الحلاوة.
خيل إلي في الأمس أني ذرة تتموج مرتجفة في دائرة الحياة بغير انتظام،
واليوم أعرف كل المعرفة أني أنا الدائرة، وأن الحياة بأسرها تتحرك في بذرات منتظمة.
يقولون في يقظتهم.

«ما أنت والعالم الذي تعيش فيه سوى حبة رمل على شاطئ غير متناه، لبحر غير متناه».

وفي حلمي أقول لهم:

«أنا هو البحر غير المتناهي، وما جميع العوالم سوى حبات من الرمل على شاطئ».

ما عييت إلا، أمام من سألني، «من أنت؟»

فكر الله، فكان فكره الأول ملاكًا،

وتكلم الله، فكانت كلمته الأولى إنسانًا،

كان الإنسان مخلوقًا هائمًا ينشد ذاته للضالة في الإحراج قبل إن منحه البحر والريح كلماته بألف ألف سنة.

فكيف يستطيع والحالة هذه أن يعبر عن العتيق من الأيام فيه بأصوات حقيرة لم يتعلمها إلا في الأمس القريب؟

تكلم أبو الهول مرة واحدة في حياته. وإليك ما قاله:

«حبة الرمل صحراء. والصحراء حبة رمل».

قال هذا وسكت ثانية ولم يفتح فاه.

قد سمعت ما قاله أبو الهول، بيد أنني لم أفهم.

رأيت وجه امرأة، فرأيت أولادها ولم يولدوا بعد، ونظرت امرأة إلى وجهي، فعرفت آبائي وجدودي؟ وقد ماتوا قبل أن تولد.

أود الآن لا يتاح لي أن أكمل ذاتي. ولكن أنى لي ذلك إذا لم أتحـول إلى سيادة يعيش عليها العاقلون من الأحياء؟

أليست هذه ضالة كل إنسان على الأرض؟

اللؤلؤة هيكل بناء الألم حول حبة رمل.

فما هو الحنين الذي بنى أجسادنا؟ ومـا هـي الحبـوب التـي بنيـت حولها؟

عندما رماني الله، حصاة صغيرة في هذه البحيرة العجيبة، أزعجت هدوءها بأن أحدثت على سطحها دوائر لا يحصى عديدها.

ولكننـي عنـدما بلغـت إلى أعماقهـا صرت هادئًـا مثلهـا. أعطنـي الصمت أقتحم غمرات الليل،

قد ولدت ثانية عندما وقع جسدي بحب نفسي وتزوجا معًا.

عرفت في حياتي رجلاً حاد السمع ولكنه أبكم، فقد خـسر لـسانه في معركة وأنا أعرف اليوم الحروب التي حار بها هـذا الرجـل قبـل أن حل به قضاء الصمت الرهيب، ويسرني جدًا أنه قد مات.

لأن العالم على سعته لا يكفي لنا معًا.

طويلاً نمـت في أرض مـصر، صـامتًا غـافلاً عـن الفـصول. ثـم ولدتني الشمس، فوقفت ومشيت على حافتي النيل، مترنمًا مع الأيـام، حالمًا مع الليالي.

والآن تمشي الشمس علي بألف قدم لكي أنام ثانية في أرض مصر.
ولكن هوذا الأعجوبة والأحجية!
فإن الشمس نفسها التي جمعتني لا تستطيع أن تفرقني. لذلك ما برحت منتصبًا أمشي بخطى ثابتة على حافتي النيل.
التذكار شكل من أشكال اللقاء.
النسيان شكل من أشكال الحرية.
نحن نقيس الزمان بمقتضى حركة الشموس التي لا تحصى، وهم يقيسون الزمان بآلات صغيرة يحملونها في جيوبهم.
فقل لي رعاك الله كيف يمكن أن نجتمع معًا في مكان واحد وفي وقت واحد،
ليس الفضاء فضاء بين الأرض والشمس لمن ينظر إليه من نوافذ المجرة.
الإنسانية نهر من النور يسير من أودية الأزل إلى بحر الأبد.
ألا تحسد الأرواح القاطنة في الأثير الإنسان على كآبته في طريقي إلى المدينة المقدسة لقيت حاجًا آخر، فسألته قائلاً: «أهذه حقيقة الطريق إلى المدينة المقدسة؟»
فأجابني قائلاً: «هلم ورائي تصل إلى المدينة المقدسة في يوم وليلة».

فتبعته للحال. وسرنا أيامًا وسرنا ليالي ولكننا لم نبلغ إلى المدينة المقدسة.

وشد ما كانت دهشتي عظيمة إذ عرفت أنه غضب لأتعلم يسر بي في الصراط المستقيم.

اجعلني يا الله فريسة الأسد قبل أن تجعل الأرنب فريستي.

قال لي منزلي: «لا تهجرني لأن ماضيك يقطن فيّ»

وقالت لي الطريق: «هلم ورائي، فأنا مستقبلك».

أما أنا فأقول لمنزلي وللطريق معًا: «ليس لي ماض ولا مستقبل».

فإذا قمت هنا ففي إقامتي ذهاب، وإذا ذهبت فهنالك إقامة في ذهابي.

«فإن المحبة والموت وحدهما يغيران كل شيء».

كيف أخسر إيماني بعدل الحياة وأنا أعرف أن أحلام الذين ينامون على الريش ليست أجمل من أحلام الذين ينامون على الأرض

ما أغربني عندما أشكو ألمًا فيه لذتي.

سبع مرات احتقرت نفسي.

أولاً: عندما رأيتها تتلبس بالضعة لتبلغ إلى الرفعة.

ثانيًا: عندما رأيتها تقفز أمام المخلصين.

ثالثًا: عندما خيرت بين السهل والصعب فأختارت السهل،

رابعًا: عندما اقترفت إثمًا ثم جاءت تعزي ذاتها بأن غيرهـا يقـترف الاثم مثلها.

خامسًا: عندما احتملـت مـا حـل بهـا لـضعفها، ولكنهـا نـسبت صبرها للقوة.

سادسًا: عندما احتقرت بشاعة وجه ما هـو عنـد التحقيـق سـوى يرفع من براقعها.

سابعًا: عندما أنشدت أغنية ثناء ومديح. وحسبتها فضيلة.

أنا لا أعرف الحقيقة المجردة. ولكني أركع متضعًا أمام جهـلي وفي هذا فخري وأجري.

بين خيال الإنسان وإدراكه مسافة لا يجتازها سوى حنينه.

الفردوس قـائم هنـاك، وراء ذلـك البـاب، في الغرفـة المجـاورة، ولكني أضعت مفتاح الباب.

ولعلي لم أضعه بل وضعته في غير موضعه.

ولولا بياض بعضنا لكان السواد أعمى.

أعطني أذنًا أعطك صوتًا.

أنت أعمى وأنا أصم أبكم، إذن ضع يـدك بيـدي فيـدرك أحـدنا الآخر.

ليست قيمة الإنسان بما يبلغ إليه. بل بما يتوق للبلوغ إليه.

بعضنا كالحبر وبعضنا كالورق.

فلولا سواد بعضنا لكان البياض أصمًا

ولولا بياض بعضنا لكان السواد أعمى

أعطني أذنًا أعطك صوتًا.

العقل إسفنجة، والقلب جدول.

أفليس بالغريب أن أكثرنا يؤثرون الامتصاص على الانطلاق؟

إذا تقت إلى البركات التي لا تعرف لها اسمًا،

وإذا حزنت وأنت لا تعرف سببًا لحزنك،

فأنت حينئذ تنمو بالحقيقة مع جميع الناميات، وترتفع متساميًا إلى ذاتك العظمى،

إذا سكر الإنسان برأي حسب أضعف تعبير عنه خمرة طيبة.

أنتم تشربون الخمر لتسكروا وأنا أشربها لأصحو من خمرة غيرها.

إذا أفرغت كأسي رضيت بفراغها، وإذا لم يكن فيها سوى نصفها اعترضت على نصف امتلائها.

ليست حقيقة الإنسان في ما يظهره لك، بل بما لا يستطيع أن يظهره.

لذلك إذا أردت أن تعرفه، فلا تصغ إلى ما يقوله بل إلى ما لا يقوله.

نصف ما أقوله لك لا معنى له، ولكني أقوله ليتم معنى النصف الآخر.

تعرف الفكاهة إذا عرفت اغتنام الفرص السانحة.

لم

ألم أشعر بألم الوحشة حين مدح الناس عيوبي الثرثارة، وطعنوا في عيوبي الخرساء.

عندما لا تجد الحياة مغنيًا يتغنى بقلبها، تلد فيلسوفًا يتكلم بعقلها.

يجب أن تعرف الحقيقة أبدًا، وتقولها بعض المرات.

الحقيقي فينا صامت، ولكن الاكتسابي ثرثار.

لا يستطيع صوت الحياة الذي فيَّ أن يصل إلى أذن الحياة التي فيك ولكن فلنتكلم على كل حال لئلا نشعر بوحشة الانفراد.

إذا تكلمت امرأتان فهما لا تعلنان شيئًا.

وإذا تكلمت امرأة واحدة فإنها تعلن الحياة كلها.

قد يكون للضفادع أصوات أعلى من أصوات البقر.

ولكن الضفادع لا تستطيع أن تجر السكة في الحقل، ولا أن تدير دولاب المعصرة، ولا يمكن أن تصنع من جلودها أحذية.

لا يحسد الثرثار إلا الأصم.

إذا قال الشتاء: «إن الربيع في قلبي، فمن ذا يصدق الشتاء؟

في كل بزرة حنين.

افتح عينيك جيدًا وانظر، تجد صورتك في كل الصور.

وافتح أذنيك جيدًا واصغ، تسمع صوتك في كل الأصوات.

يحتاج الحق إلى رجلين: الواحد لينطق به والآخر ليفهمه.

مع أن أمواج الألفاظ تغمرنا أبدًا، فإن عمقنا صامت أبدًا.

كثيرًا من المذاهب كزجاج النافذة، نرى الحقيقة من خلالها ولكنها تفصلنا عن الحقيقة.

نحن مختبئون وراء جدران ادعائنا، يفتش بعضنا عن بعض فإذا اختبأت في قلبي فليس بالصعب عليَّ أن أجدك ولكن إذا اختبأت وراء صدفتك، فحينئذ عبثًا يحاول الناس إن يهتدوا إليك.

تستطيع المرأة أن تقنع وجهها بابتسامة.

ما أنبل القلب الحزين الذي لا يمنعه حزنه عن أن ينشد أغنية مع القلوب الفرحة.

ما أشبه الراغب في فهم المرأة، أو تحليل العبقرية، أو حل سر الصمت، بذلك الرجل الذي يفيق من حلم جميل ليأكل طعام الصباح.

سأمشي من جميع الماشين، ولن أقف بلا حراك لأراقب موكب العابرين بي.

أنت مدين لمن يخدمك بما هو أثمن من الذهب فاعطه من قلبك أو فاخدمه.

ألا إننا لم نعش عبثًا. أفلم يبنوا الأبراج من عظامنا؟

تكثر التحقيق ولا تبالغ في التدقيق. فإن فكر الشاعر وذنب العقرب يرجعان في مجدهما إلى الأرض الواحدة.

كل تنين يولد مار جرجس يقتله.

الأشجار أشعار تكتبها الأرض على السماء. ونحن نقطعها ونصنع الورق منها لندون فيه فراغنا وبلادتنا.

إذا وجدت في نفسك ميلاً للكتابة (ولا يعلم سر هذا الميل إلا القديسون) فلتكن فيك المعرفة، والفن، والسحر، معرفة موسيقى الألفاظ، وفن البساطة والسذاجة، وسحر محبة قرانك.

يغمسون أقلامهم في دماء قلوبنا ثم يدعون الوحي والإلهام.

لو استطاعت الشجرة أن تدون ترجمة حياتها لما اختلفت ترجمتها عن تاريخ أية أمة من الأمم.

لو خيرت بين القوة على كتابة الشعر وما في الشعر غير المكتوب من الهيام لاخترت الهيام، فهو خير من الشعر.

ولكنك وجميع جيراني ومعارفي واثقون أبدًا بجهلي وبأني أختار الرديء دون الصالح.

ليس الشعر رأيًا تعبر الألفاظ عنه، بـل هـو أنـشودة تتـصاعد مـن جرح دام أو من فم باسم.

الألفاظ لا تتقيد بقيود الزمان فيجدر بك إذا تكلمت أو كتبـت أن تضع هذه الحقيقة نصب عينيك.

الشاعر ملك خلع عن عرشه فجلس بـين رمـاد قـصره يعمـل في صنع صورة من الرماد.

إنما الشعر كثير من الفرح والألم والدهشة مع قليل من القاموس.. عبثًا يحاول الشاعر أن يهتدي إلى أم أناشيد قلبه.

قلب مرة لشاعر: «إننا لا نعرف قيمتك حتى تموت».

فأجاب قائلاً: «أجل، إن الموت يسدل النقاب عـن وجـه الحقيقـة أبدًا وإذا كنتم بالحقيقة تودون أن تعرفوا قيمتي عـن طريـق المـوت فـما ذلك لأن في قلبي أكثر مما على لساني، وفي رغباتي أكثر مما في يدي».

إذا ترنمت بأناشيد الجمال تجد من يصغي لإنـشادك ولـو كنـت في قلب الصحراء.

الشعر حكمة تسحر القلب.

والحكمة شعر يترنم بأناشيد الفكر.

ولو استطعنا أن نـسحر قلـب الإنـسان ونـترنم في الوقـت نفـسه بأناشيد فكره، لقدر إذ ذاك أن يعيش في ظل الله.

الوحي ينشد أبدًا، الوحي لا يفسر البتة.
كثيرًا ما نغني لأولادنا لننام نحن أنفسنا.
جميع كلماتنا فتات تتساقط عن مائدة الفكر.
التفكير عقبة دائمة في سبيل الشعر.
إنما المنشد العظيم ذلك الذي يترنم بأناشيد صمتنا.
كيف تستطيع أن تغني إذا كان فمك ممتلئًا طعامًا؟
وكيف ترتفع يدك بالبركة إذا كانت ممتلئة ذهبًا.
يقولون إن البلبل ينخز صدره بمنخز عندما يغني أغنية محبته.
ونحن جميعًا مثله. إذ بغير هذا كيف نستطيع أن نغني؟
العبقرية أنشودة طائر في بدء ربيع متأخر.
إن الروح المجنحة نفسها لا تستطيع أن تتخلص من الحاجات الطبيعية. المجنون موسيقي مثلك ومثلي ولكن الآلة التي يضرب عليها لا تخرج ألحانًا.
الأنشودة الكامنة في صمت قلب الأم تتردد على شفتي طفلها.
ليس في العالم شهوة لا تتحقق.
لم أتفق قط مع ذاتي الثانية كل الاتفاق. ويلوح لي أن سر القضية كائن بيني وبينها.
إن ذاتك الثانية حزينة من أجلك أبدًا، ولكن ذاتك الثانية تعيش

وتنمو على الحزن. ولذلك فإن حزنها يؤول إلى فرح.

لا قتال بين النفس والجسد إلا في أفكار الذين نفوسهم هاجعة وأجسادهم خانعة.

إذا بلغت إلى قلب الحياة تجد الجمال في كل شيء، حتى في العيون المتعامية عن الجمال.

الجمال ضالتنا المنشودة في حياتنا كلها، وكل ما سوى ذلك أشكال من الانتظار.

أبذر بذرة تنبت لك الأرض زهرة، أنشد أحلامك في السماء تعطك السماء من تحبه نفسك.

مات الشيطان يوم ميلادك.

فليس عليك الآن أن تجتاز الجحيم لكي تجد ملاكًا.

ما أكثر النساء اللواتي يستعرن قلب الرجل.

ولكن ما أقل اللواتي يستطعن الاحتفاظ به.

إذا شئت أن تملك شيئًا فلا تدعه لنفسك.

عندما يلمس الرجل بيده يد امرأة يلمس كلاهما قلب الأبدية.

المحبة قناع بين محب ومحب.

كل رجل يحب امرأتين، واحدة يخلقها خياله، والثانية لم تولد بعد.

الرجل الذي لا يغتفر للمرأة هفواتها الصغيرة لن يتمتع

بفضائلها الكبيرة.

الحب الذي لا يتجدد في كل يوم وليلة يتحول إلى شـكل مـن قـوة الاستمرار وهذه في وقتها لا تلبث أن تنقلب عبودية.

يعانق المحبان ما بينهما أكثر مما يعانق أحدهما الآخر.

المحبة والشك لا يجتمعان.

المحبة كلمة من نور، كتبتها يد من نور، على صحيفة من نور.

الصداقة مسؤولية لذيذة أبدًا وليست الصداقة فرصة للمنفعيين.

إذا كنت لا تفهم صديقك في جميع الظروف فأنت لا ولن تفهمه.

إن أجمل أثوابك قد نسج في نول ذاتك الأخرى.

وأطيب مآكلك تتناولها على مائدة ذاتك الأخرى.

وأفضل سرير لراحتك هو في بيت ذاتك الأخرى.

فقل لي بربك كيف تستطيع أن تفصل نفسك عن ذاتك الأخرى؟

لن يتفق فكرك وقلبي حتى ينقطع فكرك عـن أن يعـيش بالأرقـام ويقف قلبي عن الحياة بالأحلام.

لن نفهم بعضنا بعضًا حتى نحوّل اللغة إلى سبع كلمات.

كيف تفضي ختوم قلبي إذا لم ينسحق؟

لا يظهر الحق الذي فيك إلا الألم العظيم أو الفرح العظيم.

فإن شئت أن تعلن حقيقة ذاتك وجب عليك إما أن ترقص عاريًـا

في الشمس أو أن تحمل صليبك.

لو أصغت الطبيعة إلى مواعظنا في القناعـة لمـا جـرى فيهـا نهـر إلى البحر، ولما تحول شتاء إلى ربيع.

ولو أصغت إلى كل نصائحنا في وجوب الاقتصاد، فكم كان بيننـا الذين يتنشقون هذا الهواء؟

أنك لا ترى سوى ظلك وأنت تدير ظهرك للشمس.

أنت حر أمام شمس النهار.

وأنت حر أمام قمر الليل وكواكبه.

وأنت حر حيث لا شمس ولا قمر ولا كواكب.

بل أنت حر عندما تغمض عينيك عن الكيان بكليته.

ولكن أنت عبد لمن تحب لأنك تحبه.

وأنت عبد لمن يحبك لأنه يحبك.

جميعنا متسولون نقف على بوابة الهيكل. وكل منا ينال قـسطه مـن عطية الملك وهو يدخل إلى الهيكل ويخرج منه.

ولكننا جميعًا نحسد بعضنا بعضًا، فنظهر بذلك تصغيرنا للملك.

إنك لا تستطيع أن تأكل أكثر من حاجتك، فـإن نـصف الرغيـف الذي لا تأكله يخص الشخص الآخر، ويجب أن تحفظ غيره قلـيلاً مـن الخبز لضيف قد يمر بك على غير انتظار.

لولا الضيوف لكانت البيوت قبورًا.

قال ذئب مضياف لحمل مسكين: «هـل تريـد أن تـشرف منزلنـا بزيارة؟»

فأجابه الحمل: كم كان فخري بزيارتك عظيمًا لـو لم يكـن منزلـك في معدتك».

أوقفت ضيفي على عتبة يأبى وقلت له: «بربـك لا تمـسح قـدميك وأنت تدخل، بل أمسحهما وأنت تخرج».

ليس السخاء بأن تعطيني مـا أنـا في حاجـة إليـه أكثـر منـك، بـل السخاء في أن تعطيني ما تحتاج إليه أكثر مني.

أنت رحوم إذا أعطيـت، ولكـن لا تـنس وأنـت تعطـي أن تـدير وجهك عمن تعطيه، لكي لا ترى حياءه عاريًا أمام عينيك.

الفرق بين أغنى الأغنياء وأفقر الفقراء يوم جوع وساعة عطش.

نستدين في الغالب من غدنا لكي ندفع ديون أمسنا.

كثيرًا ما تزورني الملائكة والشياطين، ولكنني أتخلص منهم.

فإذا كان الزائر ملاكًا فإني أصلي صلاة قديمة فيملها ويترك منزلي.

وإذا كان شيطانًا فإنني أرتكب أمامه خطيئة قديمة فيمر بي مجتازًا.

ليس هذا بالسجن الرديء على كـل حـال، ولكننـي لا أحـب هـذا الجدار الذي يفصلني عن السجين في الغرفة الثانية.

على أنني أؤكد لك أنني لا أريـد أن أقـرب مـن الـسجان ولا مـن الذي بنى السجن.

إن الذين يعطونك حية وأنت تسألهم سمكة ربما لـيس لـديهم مـا يعطونه غير الحيات. ولذلك يحسب عملهم أريحية وسخاء.

ينجح الخداع حينًا، ولكنه يسير أبدًا إلى الانتحار.

أنت بالحقيقة صفوح غفور: إذا كنت تصفح عـن القتلـة الـذين لم يسفكوا دمًا، واللصوص الذين لم يسرقوا، والمنافقين الذين لم يكذبوا.

إن الذي يستطيع أن يضع إصبعه عـلى الخـط الفاصـل بـين الخـير والشر يستطيع بالحقيقة أن يلامس هدب ثوب الله.

إذا كان قلبك بركانًا فكيف تتوقع أن تزهو الأزهار في يديك.

أليس غريبًا أنني كثيرًا ما أحب أن يخدعني الناس ويغـشوني لكـي أضحك على حساب الذين يفكرون أنني لا أعرف أنهم يخدعونني.

ماذا أقول في المطارد الذي يمثل دور المطارد؟

أعط ثوبك لمن يمسح يديه الوسختين به، لأنه ربما يحتاج إليه، أمـا أنت فلا تحتاج إليه.

ويـا للأسـف الـشديد كيـف أن الـصيرفي لا يـستطيع أن يكـون بستانيًا.

بربك لا تغطي هفواتك الأصلية بفضائلك الاكتسابية فأنا أتمسك

بهفواتي الصغيرة فهي ملك خاص بي.

كم من مرة عزوت لنفسي جرائم لم أرتكبها قط لـئلا أظهـر أرفـع ممن يجالسني من المجرمين.

إن براقع الحياة نفسها هي براقع لسر أعمق من الحياة.

تستطيع أن تدين الآخرين بحسب معرفتك لذاتك. فهـل لـك أن تقول لي: من هو المجرم ومن هو البرئ.

إن البار بالحقيقة هو ذلك الذي يشعر بأنـه سـبب لنـصف الجـرم الذي أجرمته أنت.

لا يكسر الشرائع البشرية إلا إثنان: المجنون والعبقري وهما أقرب الناس إلى قلب الله.

مطاردة بعضهم وهبت قدماي السرعة.

ليس لي أعداء يا رب، ولكن إذا كـان لابـد مـن وجـود عـدو لي؛ فاجعل يا رب قوته مضارعة لقوتي، لكي لا تكون الغلبة إلا للحق.

ستكون على ولاء تام من عدوك بعد موتكما.

كثيرًا ما ينتحر الإنسان في الدفاع عن نفسه.

عاش في قديم الزمان رجل صـلبه النـاس لأنـه كـان يحـب كثـيرًا وكان يحبه الناس كثيرًا.

ولعلك تدهش إذ أخبرك أنني رأيته ثلاث مرات في الأمس القريب.

ففي المرة الأولى رأيته يسأل الشرطي أن لا يأخذ زانية إلى السجن.

وفي المرة الثانية رأيته يشرب الخمرة مع أحد السكيرين، وفي المرة الثالثة رأيته يصارع رجلاً أراد أن يتخذ الكنيسة وسيلة للإعلان والتذييع.

إذا كان كل ما يقولونه في الخير والشر حقيقيًا فإن حياتي كلها سلسلة من الجرائم.

ليست الرحمة سوى نصف العدالة.

ما ظلمني إلا الذي ظلمت أخاه.

إذا رأيت رجلاً يقاد إلى السجن فقل في قلبك: «لعله يهرب من سجن أضيق وأظلم من السجن الذي يسير إليه».

وإذا رأيت سكيرًا فقل في قلبك: «من يدري إذا كان هذا الرجل لم يسكر إلا لكي يتخلص مما هو شر من السكر؟»

كثيرًا ما حملني الدفاع عن النفس إلى البغضاء، ولكن لو كنت أوفر قوة لما لجأت إلى هذه الوسيلة.

ما أبلد من يرفع نظرات البغض في عينيه بخرق ابتسامة في شفتيه.

لا يحسدني ولا يبغضني إلا الذين دوني.

ولكن لم يحسدني ولم يبغضني أحد قط، فأنا إذن لست دون أحد.

ولا يمدحني ولا يصغرني إلا الذين فوقي.

ولكن لم يمدحني ولم يصغرني أحد قط، فأنا إذن لست فوق أحد.

قولك أنك لا تفهمني مديح لا أستحقه أنا، وإهانة لا تستحقها أنت.

ما أحقرني عندما تعطيني الحياة ذهبًا فأعطيك فضة ثم أحسبني سخيًا جوادًا.

عندما تبلغ إلى قلب الحياة تجد أنك لست أرفع من المجرمين، ولا أدنى من الأنبياء.

غريب أنك تقتصر شفقتك على بطئ القدمين دون بطئ الفكر، وأعمى العينين دون أعمى القلب.

تقضي الحكمة على الأعرج ألا يكسر عكازه على رأس عدوه.

ما أعمى الذي يعطيك من جيبه ليأخذ من قلبك.

الحياة موكب عظيم. ينظر إليه بطئ الخطى فيحسبه سريعًا جدًا ولذلك يهرب منه. وينظر إليه سريع الخطى فيحسبه بطيئًا ويهرب منه.

إذا كان لابد من وجود الخطيئة فإن فريقًا منا يرتكبونا بالتفاتهم إلى الوراء لاقتفاء آبائنا وجدودنا.

ويقترفها الفريق الآخر بتحديقهم إلى الأمام للمبالغة في السيادة على أبنائنا.

الصالح هو ذلك الذي لا يفصل ذاته عن جميع الذين يحسبهم

العالم أشرارًا.

جميعنا سجناء، ولكـن بعـضنا في سـجون ذات نوافـذ وبعـضنا في سجون بدون نوافذ.

عجيب غريب أننا نـدافع عـن خطئنـا بـأكثر قـوة ممـا نـدافع عـن صوابنا.

لو اعترفنا بعضنا لـبعض بخطايانـا لـضحكنا جميعًـا بعـضنا عـلى بعض لشدة فقرنـا إلى الابتكـار. ولـو أظهرنـا جميعنـا فـضائلنا بعـضنا لبعض لأغربنا من الضحك للسبب بعينه.

يظل الفرد فوق الشرائع البشرية حتى يقـترف إثـمًا ضـد المجـامع البشرية وبعد ذلك لا يكون فوق أحد ولا دون أحد.

الحكومة اتفاق بينك وبيني، وأنت وأنا في الغالب على ضلال.

الجريمة اسم من أسماء الحاجة أو مظهر من مظاهر المرض.

أفهل هنالك خطأ أعظم من الشعور بخطأ الآخرين؟

إذا ضحك امرؤ منك تستطيع أن تشفق عليه. ولكن إذا ضحكت عليه فأنت ربما لا تستطيع أن تصفح عن نفسك.

وإذا أساء امرؤ إليك فأنـت تقـدر أن تنـسى الإسـاءة، ولكـن إذا أسأت إليه فأنت ذاكر إساءتك أبدًا.

لذلك ثق بأن هذا الشخص الثاني هو ذاتك الأكثر إحساسًا ولكن

في جسد غير جسدك.

ما أحمقك وأنت تطلب من الناس أن يطيروا بجناحيك ولكنك لا تقدر أن تعطيهم ريشة؟

جلس رجل مرة إلى مائدتي فأكـل خبـزي وشرب خمـرتي وذهـب ضاحكًا مني.

ثم جاءني بعدئذ يطلب خبـزًا وخمـرًا، فرددتـه خائبًـا، فـضحكت الملائكة مني.

البغض جثة راقدة. فمن منكم يريد أن يكون قبرًا.

حسب القتيل فخرًا أنه ليس بالقاتل.

منبر الإنسانية قلبها الصامت لا عقلها الثرثار.

يحسبونني مجنونًا لأنني لا أبيع أيامي بدنانيرهم.

يبسطون أمامنـا ثـروتهم مـن الـذهب والفـضة، ونبـسط أمـامهم القلوب والأرواح ومـع ذلـك يحـسبون نفـسهم المـضيفين ويحـسبوننا الأضياف.

أحب أن أكون الأصـغر بـين ذوي الأحـلام، الـراغبين في تحقيـق أحلامهم. ولا أكون الأعظم بين من لا أحلام ولا رغبات لهم.

أدعي النـاس إلى الـشفقة ذلـك الـذي يحـول أحلامـه إلى الفـضة والذهب.

جميعنا نتسلق المرتفعات للبلوغ إلى قنة رغبات قلوبنا، فإذا سرق المتسلق إلى جانبك جرابك وكيسك فسمن بالأول وازداد ثقله بالثاني فخذه بحلمك واشفق عليه؛ لأن السمن يجعل الصعود صعبًا عليه، والثقل الذي أضافه إلى أحماله يطيل الطريق أمامه، فإذا رأيته وأنت في نحافتك وهزالك، بطيئًا رازحًا تحت حمله فلا تتأخر عن مساعدته لأن ذلك يزيد في سرعتك.

لا تستطيع أن تحكم على رجل أكثر مما تعرف عنه وما أحقر معرفتك.

لا أحب أن أصغي إلى غازٍ يعظ الذين فتح بلادهم.

الحر الحقيقي هو الذي يحمل أثقال العبد المقيد بصبر وشكر.

منذ ألف سنة قال لي جاري: إنني أكره الحياة لأنه ليس فيها سوى الألم، وقد مررت في الأمس بالمقبرة فرأيت الحياة ترقص على قبره.

ليس الجهاد في الطبيعة سوى شوق عدم النظام إلى النظام.

الوحدة عاصفة صماء تحطم جميع الأغصان اليابسة في شجرة حياتنا، ولكنها تزيد جذورنا الحية ثباتًا في القلب الحي للأرض الحية.

حدثت مستنقعة عن البحر فحسبتني خياليًا يبالغ، وحدثت البحر عن المستنقعة فظنني مفتريًا يهجو.

ما أضيق عيش من يؤثر اجتهاد النمل على إنشاد الجنادب.

قد تكون اسمى الفضائل في هذا العالم أدناه في العالم الثاني.

العميق والعالي ينـزلان إلى الأعماق أو يـصعدان إلى الأعـالي، ولا يتحرك في الدوائر إلا الفسيح الرحيب.

لولا مقاييسنا وأوزاننا المحددة لتهيبنا أمام الحباحب مثلما نتهيـب أمام الشموس.

العالم بدون خيال جزار تعطلت سكاكينه وموازينه.

ولكن ماذا نعمل نحن لا نستطيع أن نكون نباتيين بأجمعنا؟

إذا غنيت للجائع سمعك بمعدته.

ليس الموت بأقرب من الشيخ منه إلى الطفل الرضيع، والحيـاة كالموت.

إذا أردت أن تكـون خالـصًا مخلـصًا فكـن مخلـصًا بجـمال وإلا فاصمت، لأن في جوارنا رجلاً يحتضر.

من يدري إذا لم تكن الجنازة بين الناس عرسًا بين الملائكة.

تستطيع الحقيقة المنسية أن تمـوت وتـترك في وصـيتها سـبعة آلاف حقيقة لتنفق في جنازتها وبناء قبرها.

نحن نتكلم لنخاطب ذواتنا فقط، ولكن كثـيرًا مـا نرفـع أصـواتنا أكثر مما ينبغي فيسمعنا الآخرون.

الواضح هو ذلك الذي لا يراه أحد إلا وعبر عنه بملء البساطة.

لو لم تكن المجرة في أعماقي فكيف كان يمكن أن أراها أو أعرفها.

إذا لم أصِر طبيبًا بين الأطباء فلا يصدقون أنني منجم.

ليس اللؤلؤ سوى رأي البحر في الصدف،
وليس الماس سوى رأي الزمن في الفحم.

الشهرة شبح الهوى الواقف في النور.

الجذر زهرة تحتقر الشهرة.

لا دين ولا علم بدون الجمال.

لم أعرف رجلاً عظيمًا لم يكن في الأساس الذي وضع عليه صرح عظمته بعض الأشياء الصغيرة، وهذه الصغيرات بعينها هي التي حالت بين جميع العظماء وبين الخمول والجنون والانتحار.

إنما الرجل العظيم ذلك الذي لا يسود ولا يساد.

لم يعمل البشر إلا بمقتضى قول القائل: «خير الأمور الوسط، ولذلك تراهم يقتلون المجرمين والأنبياء.

المتساهل مريض يحب داء الادعاء.

ربما كان عدم الاتفاق أقصر مسافة بين فكرين.

أنا اللهيب وأنا الهشيم اليابس، وبعضي يأكل بعضي، فهلا حولت وجهك عني لكي لا يعميك دخاني؟

جميعنا نسعى إلى قنة الجبل المقدس، فإذا اعتبرنا الماضي خريطة

أفلا تكون طريقنا أقصر مما إذا اتخذناه دليلاً؟

لا تكون الحكمة حكمـة إذا ترفعـت عـن البكـاء وتكـبرت عـلى الضحك، وتلهث بنفسها فلم تنشد نفس غيرها.

إذا اكتفيت بكل ما تعرفه أنت فأين أضع الذي لا تعرفه؟

قـد تعلمــت الـصمت مـن الثرثـار، والتـساهل مـن المتعـصب، والأغرب من كل هذا أنني لا أعترف بجميل هؤلاء المعلمين.

المتعصب بالدين خطيب بالغ الصمم.

سكوت الحسود كثير الضوضاء.

إذا بغلت إلى غاية ما يجب أن تعرفـه، فأنـت عـلى عتبـة مـا تعلنـه الأصوات، فأنت بالحقيقة لا ترى ولا تسمع.

الحقيقة لا تتجزأ.

لا تستطيع أن تضحك وتكون قاسيًا في وقت واحد.

أقرب الناس إلى قلبي ملك لا مملكـة لـه، وفقـير لا يعـرف كيـف يتسول.

الفشل في حياته خير من النجاح في ادعائه.

أحفر أين شئت في الأرض تجد كنزًا؛ ولكن عليك أن تحفـر بـإيمان الفلاح.

قال ثعلب يطارده عشرون صيادًا على خيولهم المطهمة وأمـام كـل

صياد كلبه النبيه: «سيقتلونني ولا شك. ولكن ما أحمقهم وما أبلدهم. فإني لا أعتقد أن عشرين ثعلبًا تحمق بهذا المقدار حتى أنها تركب عشرين حمارًا وتصحب معها عشرين ذئبًا لتفترس رجلاً واحدًا».

فكر الإنسان، دون روحه، يخضع للشرائع التي يسنها الإنسان.

إنني سائح وملاح في وقت واحد، وفي كل صباح أكتشف قارة جديدة في نفسي.

قالت امرأة: «كيف لا تكون الحرب مقدسة وقد مات فيها ابني؟»

قلت مرة للحياة: «أود لو أسمع الموت متكلمًا».

فرفعت الحياة صوتها قليلاً وقالت لي: «إنك تسمعه الآن».

إذا فرغت من حل جميع أسرار الحياة تتوق إلى الموت لأنه سر من أسرار الحياة.

الولادة والموت مظهران من أنبل مظاهر الشجاعة.

يا صاحبي، إنني سأظل وإياك غريبين عن الحياة.

غريبين أحدنا عن الآخر وكل عن نفسه.

إلى اليوم الذي تتكلم فيه فأصغى إليك حاسبًا صوتك صوتي وأقف أمامك كأنني أقف أمام مرآة.

يقولون لي: «لو عرفت نفسك لعرفت جميع الناس».

فأقول لهم: «لن أعرف نفسي حتى أعرف جميع الناس».

أنت اثنان، واحد متيقظ في الظلمة والثاني غافل في النور.

الناسك الحق هو ذلك الذي يهجر عالم الذرات، ويتمتع بعالم الكليات الغير متجزئة.

بين العالم والشاعر مرج أخضر، فإذا احتازه العالم صار حكيمًا وغذا اجتازه الشاعر صار نبيًا.

رأيت في مساء الأمس فلاسفة يحملون رؤوسهم في سلاسل ويطوفون في ساحات المدينة وهم ينادون بأعلى الصوت «الحكمة! الحكمة للبيع!».

مساكين الفلاسفة! فهم يبيعون رؤوسهم ليطيعوا قلوبهم.

قال فيلسوف لكناس الشوارع: «إنني أشفق عليك لأن عملك مضنك قذر».

فأجاب كناس الشوارع وقال: «أشكرك يا سيدي، ولكن قل لي ما هو عملك؟»

فأجاب الفيلسوف متبجحًا: «إنني أدرس أخلاق الناس وطبائعهم، وأبحث في أعمالهم ومنازعهم».

فضحك كناس الشوارع وسار في عمله قائلاً للفيلسوف «يا مسكين! يا مسكين».

ليس من يصغي للحق بأصغر ممن ينطق بالحق.

ما من رجل يستطيع أن يفصل بين الضروري وغير الضروري من الحاجات. لأن هـذا العمـل مـن ميـزات الملائكـة، والملائكـة حكـماء أذكياء.

ومن يدري إذا لم تكن الملائكة أفكارنا الفضلى في الفضاء؟

إنما الأمير كل الأمير ذلك الذي يجد عرشه في قلوب الدراويش.

الجود أن تعطي أكثر مما تستطيع، والإباء أن تأخذ أقـل ممـا تحتـاج إليه.

لست مدينًا بشيء لإنسان عند التحقيق، ولكنك مدين بكـل شيء لجميع الناس.

جميع الذين عاشوا في الماضي يعيشون معنا اليوم، أفهل بيننا مـن لا يريد أن يكون مضيفًا مضيافًا.

كثير الرغبات طويل الحياة.

يقولون لي: «عصفور في اليد ولا عشرة على الشجرة».

أما أنا فأقول لهم: «إن عصفورًا واحدًا على الشجرة خير من عشرة في اليد».

في الوجود عنصران لا ثالث لهما، وهمـا الجـمال والحـق، الجـمال في قلوب المحبين، والحق في سواعد الذين يحرثون الأرض.

الجمال العظيم يأسرني. ولكن الجمال الأعظم يحررني من أسر ذاته.

يشرق الجمال أكثر لمعانًا في قلب المشتاق إليه مما في عيني الذي يراه.

إنني أعجب بالرجل الذي يظهر لي فكره، وأمجد الرجل الذي يحسر القناع عن أحلامه، ولكن لماذا أنا خجول حيي أمام الذي يخدمني.

كان الموهوب في الماضي يفاخر بخدمة الملوك، أما اليوم فإنه يدعي خدمة المساكين.

تعرف الملائكة أن كثيرين من الرجال العمليين يأكلون خبزهم بعرق جبهة الخيالي الكثير الأحلام.

الذكاء في الغالب قناع إذا قدرت على تمزيقه رأيت إما عبقرية ثائرة أو حذاقة ماكرة.

الفهيم ينسب إلى الفهم، والبليد ينسبني إلى البلادة. ويلوح لي إنهما كلاهما مصيبان.

لا يدرك أسرار قلوبنا إلا من امتلأت قلوبهم بالأسرار.

إن الذي يشاركك في ملذاتك دون آلامك سيخسر المفتاح لواحدة من سبع بوابات الجنة.

أجل، إن النيرفانا[1] موجودة، وهي تقوم بقيادة خرافك إلى المراعي الخضراء، ووضع طفلك في سريره لينام، وكتابة السطر الأخير

(١) النيرفانا في اعتقاد البوذيين انقطاع الوجود الشخصي وبلوغ النفس إلى وحدة الكمال العامة.

من قصيدتك.

نحن نختار أفراحنا وأحزاننا قبل أن تحل بنا بزمن طويل.

الكآبة جدار بين بساتين.

إذا تعاظم حزنك أو فرحك صغرت الدنيا في عينيك.

الرغبة نصف الحياة، أما عدم الإكتراث فنصف الموت.

أمرّ ما في أحزان يومنا ذكرى أفراح أمسنا.

يقولون لي: «يجب أن تختار بين ملـذات هـذا العـالم وسـلام العـالم الثاني».

فأقول لهم: «قد اخترت أفراح هذا العالم وسلام العالم الثـاني معًـا. فإنني أعرف في قلبي أن الشاعر الأعظم لم يكتب سوى قصيدة واحـدة وهي تامة الوزن تامة القوافي».

الإيمان واحة مخـضلة الجوانـب في صـحراء القلـب لا تبلـغ إليهـا قوافل الفكر.

إذا بلغت إلى ملء رفعتك فأنت لا ترغب إلا في الرغبة، ولا تجـوع إلا للجوع ولا تعطش إلا للعطش الأعظم.

إذا بحـت بـأسرارك للـريح فـلا تلـومن الـريح إذا باحـت بهـا للأشجار.

إن أزهـار الربيـع هي أحـلام الشـتاء تقرب على مائـدة الملائكـة

عند الصباح.

السلاحف أكثر خبرة بالطرق من الأرانب.

أليس من الغريب أن المخلوقات التي بدون سلسلة فقرية تعيش في صدف آمن من ذوات الفقرات؟

أكثر الناس كلامًا أقلهم ذكاء، وبين الخطيب والدلال بون شاسع.

كن شكورًا لأنك لست مرغمًا إلى الحياة بصيت أبيك أو مال عمك.

ولكن كن شكورًا أكثر من هذا إذا لم يكن لك من يعيش بصيتك أو بثروتك.

إذا أخطأ المشعوذ في القبض على كرته جاءني مستغيثًا مسترحمًا.

يمدحني الحسود وهو لا يعلم.

كنت حلمًا في نوم أمك العميق زمنًا طويلاً وعندما أفاقت من نومها ولدتك.

إن خميرة الجنس كائنة في حنين أمك.

شاق أبي وأمي ولدًا فولداني. وشاقني أن يكون لي أب وأم فولدت البحر والليل.

بعض أبنائنا كالأعذار وبعضهم كالذنوب.

إذا جاء الليل وكنت مظلمًا مثله، فاذهب إلى فراشك وكن

مظلمًا باختيارك.

وإذا جـاء الـصباح وأنـت لا تـزال مظلـمًا فـانهض وقـل للنهـار بإرادتك الكاملة، إنني ما برحت مظلمًا.

فان من البلادة أن تقف في وجه الليل والنهار فهما يضحكان منـك لو فعلت.

ليس الجبل المقنع بالضباب تلـة، وليـست الـسنديانة تحـت المطـر بالصفصافة الباكية.

إليك هذه الأحجية: إن العميـق والعـالي همـا أقـرب أحـدهما إلى الآخر من المتوسط لأحدهما.

عندما وقفت أمام مرآة نقية، تأملت فيّ مليًا فرأيـت صـورتك ثـم قلت لي: «إنني أحبك».

ولكن بالحقيقة أحببت ذاتك فيّ.

إذا تلذذت بمحبة قريبك زالت فضيلتك من محبتك.

المحبة التي لا تنبع في كل يوم تموت في كل يوم.

لا تستطيع أن تملك الشباب ومعرفة الشباب في الوقت الواحد.

لأن الشباب تلهيه المعيشة عن المعرفة، والمعرفة يلهيها البحث عـن ذاتها عن المعيشة.

قد تنظر من نافذة منزلك فترى بين عابري الطريق راهبة تـسير إلى

يمينك ومومسًا تسير إلى يسارك.

وفي سذاجتك وطهارة قلبك تقول لذاتك «ما أنبل هذه وما أقبح تلك!»

ولكنك لو أغمضت عينيك وأصغيت هنيهة لسمعت صوتًا يتردد في الأثير قائلاً بلسانك: «إن الواحدة تنشدني بالصلاة والثانية بالألم. وفي روح كل منهما مظلة لروحي».

مرة في كل ماية سنة يلتقي يسوع الناصري بيسوع الناصري في حديقة بين جبال لبنان، فيتحدثان طويلاً وفي كل مرة ينصرف يسوع الناصري وهو يقول ليسوع النصاري: «أخشى يا صاحبي أننا لن نتفق أبدًا أبدًا».

ليشبع الرب المتخمين!

للرجل العظيم قلبان، قلب يتألم وقلب يتأمل.

إذا كذب الإنسان كذبة لا يؤذيك ولا يؤذي أحدًا سواك، فلماذا لا تقول في قلبك أن بيت حقائقه لا يسع خياله لذلك يتركه إلى فضاء أرحب؟

وراء كل باب موصد سر مختوم بسبعة أختام.

الانتظار سنابك الزمن.

ماذا يهمك إذا كان الهم نافذة جديدة في الجدار الشرقي لبيتك.

قد تنسى الذي ضحكت معه، ولكنك لا تنسى الذي بكيت معه.

لا شك أن في الملح قوة مقدسة عجيبة. فهـو كـائن في دموعنـا وفي البحر.

إن الهناء في عطشه المبارك سيشربنا جميعًـا: قطـرة النـدى والدمعـة معًا.

ما أنت إلا ذرة ذاتك الجبارة، فم ينشد خبـزًا، ويـد عميـاء تمسك قدحًا لفم عطشان.

إذا ارتفعت عن التعصب لجنسك أو بلادك أو ذاتك ذراعًا واحـدًا صرت بالحقيقة مثل ربك.

لو كنت في موضـعك لمـا انحيـت باللائمـة عـلى البحـر في وقـت الجزر.

السفينة جديدة والربان ماهر، ولكن التشويش في معدتك أنت.

إن ما نتوق إليه ونعجز عن الحصول عليه هو أحب على قلوبنا ممـا قد حصلنا عليه.

لو جلست على السحابة لما رأيت الحد الفاصل بين بلاد وبلاد ولا الحجر الفاصل بين حقل وحقل.

ولكن يا للأسف! أنك لا تستطيع أن تجلس على السحابة.

من سبعة قرون طـارت سـبع حمامـات بيـضاء مـن واد عميـق، وحلقت قاصدة قنة جبل عـال تغطيـه الثلـوج، فقـال أحـد الرجـال

السبعة الذين كانوا يراقبون الطيران: «إنني أرى نقطة سوداء على جناح الحمامة السابعة».

واليوم يتحدث الناس في ذلك الوادي بسبع حمامات سوداء طارت في قديم الزمان إلى قنة الجبل المغطاة بالثلوج.

جمعت كل أحزاني في الخريف ودفنتها في بستاني.

وعندما رجع نيسان وجاء الصيف ليتزوج الأرض، نبتت في بستاني أزهار بالغة الجمال تختلف عن جميع الأزهار الأخرى.

فجاء جيراني لكي ينظروا أزهار بستاني، وقالوا لي جميعهم: «إذا جاء الخريف وجاء معه وقت البذار أفلا تعطينا من بذار هذه الزه .. لكي نزرعها في بساتيننا؟»

التعاسة في أن أمد يدي فارغة للناس فلا يضع فيها أحد شيئًا.

أما القنوط ففي أن أمدها ملآنة فلا يأخذ الناس منها شيئًا.

أتوق إلى الأبدية لأنني سأجتمع فيها بقصائدي غير المنظومة وصوري غير المرسومة.

الفن خطوة تخطوها الطبيعة نحو الأبدية.

عمل الفن ضباب مسكوب صورة.

إن الأيدي التي تصنع أكاليل الشوك هي أفضل من الأيدي الكسولة.

إن أقدس دموعنا، لما تعرف الطريق إلى مآقينا.

كل إنسان هو ابن لكل ملك ولكل عبد عاش قبله في العالم.

لو أن جد يسوع عرف ما كان مستترًا فيه أفما كان يقف وقفة الخشية والخشوع أمام نفسه؟

هل كانت محبة أم يهوذا لابنها أقل من محبة مريم ليسوع؟

لأخينا يسوع ثلاث عجائب لم تكتب بعد في الكتاب، الأولى أنه كان إنسانًا مثلي ومثلك، والثانية أنه كان ذا كياسة وظرف، والثالثة معرفته أنه غالب مع أنه غُلب.

أيها المصلوب، إنك مصلوب على قلبي والمسامير التي ثقبت يديك تخترق جدران قلبي.

وغدًا عندما يمر غريب بهذه الجلجلة لن يقول دم اثنين نازف هنا، بل يظنه دم واحد فقط.

لعلك سمعت بالجبل المبارك، فهو أعلى جبل في العالم، فلو بلغت قمته لم يكن لديك سوى أمنية واحدة وهي أن تهبط نازلاً وتقيم مع النازلين في أعمق واد.

ولذلك دعي الجبل المبارك.

كل فكر حبسته عن الظهور بالكلام يجب أن أطلقه بالأعمال.

تم كتاب

«رمل وزبد»

الموسيقى

جلست بقرب من أحبتها نفسي أسمع حديثها. أصغيت ولم أنـبس ببنت شفة، فشعرت أن في صوتها قوة اهتز لها قلبي اهتزازات كهربائيـة فصلت ذاتي عن ذاتي، فطارت نفسي سـابحة في فـضاء لا حـد لـه ولا مدى، ترى الكون حلمًا والجسد سجنًا ضيقًا.

سحر عجيب مازج صوت حبيبتي وفعل بمشاعري ما فعـل وأنـا لاه عن كلامها بها أغناني عن الكلام.

هي الموسيقى أيها الناس، سمعتها إذ تنهدت حبيبتـي بُعيـد بعـض الكلمات وابتسمت في بعضها. سمعتها لما حكت تارة بألفـاظ متقطعـة وآونة بجمل متواصلة وأخرى بكلمات أبقت نصفها بين شفتيها.

تأثيرات قلب حبيبتي، رأيتها بعين سمعي فأشـغلتني عـن جـوهر حديثها بجواهر عواطفها المتجسمة بموسيقى هي صوت النفس.

بلى، فالموسيقى هي لغة النفـوس، والألحـان نـسيمات لطيفـة تهـز أوتار العواطف. هي أنامل رقيقة تطرق باب المـشاعر وتنبـه الـذاكرة، فتنشر هذه ما طوته الليالي من حوادث أثرت فيها بماضٍ عبر.

هـي نغـمات رقيقـة تستحـضر، عـلى صـفحات المخيلـة، ذكـرى ساعات الأسى والحزن إذا كانـت محزنـة، أو ذكـرى أويقـات الـصفاء والأفراح إذا كانت مفرحة.

هي مجموع أصوات محزنـة تـسمعها فتـستوقفك وتمـلأ أضـلعك لوعة وتمثل لك الشقاء كالأشباح.

هي تأليف أنغام مفرحة، تعيها فتأخذ بمجامع قلبك فيرقص بـين أضلعك فرحًا وتيهًا.

هي رنة وتر تدخل سامعتك محمولة بتموجات الأثير، فقـد تخـرج من عينيك دمعة محرقة أثارتها لوعة نأي حبيـب، أو آلام كلـوم خرقهـا ناب الدهر. وربما خرجت من بـين شـفتيك ابتـسامة كانـت في الحـق، عنوان السعادة والرخاء.

هي جسم من الحشاشة، له روح من النفس وعقل من القلب.

وجد الإنسان فأوحيت إليـه الموسـيقى مـن العـلاء لغـة، ليـست كاللغات، تحكي ما يكنه القلب للقلب، فهي حـديث القلـوب. وهـي كالحب عم تأثيرها الناس، فـترنم بهـا البرابـرة في الـصحراء، وهـزت أعطاف الملوك في الصروح. مزجتها الثكلى مـع نوحهـا، فكانـت نـدبًا

يفتت قلب الجماد. وبثها الجذلان مع أفراحه فكانت إنشادًا يطرب مغلوب الأرزاء، فقد حاكت الشمس، إذ أحيت بأشعتها جميع زهور الحقول.

الموسيقى كالمصباح؛ تطرد ظلمة النفس، وتنير القلب، فتظهر أعماقه. والألحان، في قضائي، أشباح الذات الحقيقية أو أخيلة المشاعر الحية. والنفس كالمرآة المنتصبة تجاه حوادث الوجود وفواعله تنعكس عليها رسوم تلك الأخيلة.

النفس زهرة لينة في مهب ريح التقادير، نسيمات الصباح تهزها وقطرات الندى تلوي عنقها. كذا تغريدة عصفور، تنبه الإنسان من غفلته، فيصغى، ويشعر، ويمجد معه الحكمة، مبدعة نغمة الطائر العذبة وشعوره الرقيق، وتهيج تلك التغريدة قوى فكرته، فيسأل ذاته وما يحف به، عمّا أسرّه لحن ذلك الطائر الحقير فحرّك أوتار عواطفه وأوحى إليه معاني ما حوتها كتب الأولى تقدموه. يسأل مستفهمًا عما إذا كان العصفور يناجي زهور الحقل أم يحاكي أغصان الأشجار أم يقلد خرير مجاري المياه أم ينادم الطبيعة بأسرها، ولكنه لا يستطيع إلى الحصول على الجوانب سبيلاً.

الإنسان لا يدري ما يقوله العصفور فوق أطراف الأغصان، ولا

الجداول على الحصباء، ولا الأمواج إذ تأتي الشاطئ ببطء وهـدوء. ولا يفقه ما يحكيه المطر إذ يتساقط منهملاً على أوراق الأشـجار، أو عنـدما يطرق بأنامله اللطيفة بلّور نافذته، ولا يفهم مـا يقولـه النسيم لزهـور الحقل، ولكنه يشعر أن قلبه يفقه ويفهـم مفـاد جميـع هـذه الأصـوات فيهتز لها، تارة بعوامل الطرب، ويتنهد طورًا بفواعل الأسـى والكآبـة. أصوات تناجيه بلغة خفية، وضعتها الحكمة قبل كيانه، فتحدثت نفـسه والطبيعة مرات كثيرة وهو واقف معقود اللسان حائرًا، وربما ناب عـن لفظه الدمع، والدمع أفصح مترجم.

أنت معي يا صاحِ، إلى مسرح الذكرى لنرى منزلة الموسـيقى عنـد أمم طوتها الأيام، وتعالَ نتأمل تأثيرها في كل دور من أدوار ابن آدم.

عبدها الكلدانيون والمـصريون كإلـه عظـيم يُـسجد لـه ويمجـد. واعتقد الفرس والهنود بكونها روح الله بين البشر. وقال شاعر فـارسي ما معناه: «إن الموسيقى كانـت حوريـة في سـماء الآلهـة تعـشّقت آدميـا وهبطت نحوه من العلو فغضب الآلهة إذ علموا، وبعثوا وراءهـا ريحًـا شديدًا نثرتها في الجو وبعثرتها في زوايا الدنيا، ولم تمـت نفـسها قـط بـل هي حية تقطن ذات البشر».

وقـال حكيم هنـدي: «إن عذوبـة الألحـان توطـد آمـالي بوجـود

أبدية جميلة».

والموسيقى عند اليونان والرومان كانت إلهًا مقتدرًا، بنوا له هياكل عظيمة ما برحت تحدثنا بعظمتهم، ومذابح فخيمة، قدموا عليها أجمل قرابينهم وأعطر بخورهم، إلهًا دعوه أبولون فمثلوه، وجميع الكمالات تجعله منتصبًا كالغصن على مجاري المياه، يحمل القيثارة في يسراه، ويمينه على الأوتار، رأسه مرفوع يمثل العظمة، وعيناه ناظرتان إلى البعيد كأنه يرى أعماق الأشياء.

وقالوا أن رنات أوتار أبولون صدى صوت الطبيعة. رنات شجية ينقلها عن تغريد الطيور وخرير المياه وتنهدات النسيم وحفيف أغصان الأشجار.

وجاء في أساطيرهم أن رنات أوتار أورفيوس الموسيقى حركت قلب الحيوان فاتبعته الضواري، والنبات، فمدت نحوه الأزاهر أعناقها ومالت إليه الأغصان، والجماد، فتحرك وتفتت.

وقالوا فقد أورفيوس زوجته فبكاها ورثاها نادبًا حتى ملأت نغمة لوعته البرية، فبكت الطبيعة لبكائه حتى حنَّت قلوب الآلهة ففتحت له أبواب الأبدية كي يلتقي حبيبته في عالم الأرواح.

وقالوا قتلت بنات الأحراج أورفيوس ورمَيْنَ برأسه وقيثارته إلى البحر فطافا على الماء حتى بلغا جزيرة دعاها اليونان جزيرة الأغاني.

وقالوا أن الأمواج التي حملت رأس أورفيوس وقيثارته ما برحت مذ ذاك الحين تصوغ من أصواتها ندبًا مؤثرًا وأنغامًا محزنة، تملأ الأثير فيسمعها الملاحون.

هذا كلام، بعد أن قضى عز تلك الأمة ومضى، دعوناه خرافات مصدرها الوهم، وأحلامًا ابتدعتها التصورات. غير أنه قول دل أن تأثير الموسيقى في صدور اليونان كان عميقًا وعظيمًا فقالوا ما قالوا عن صحة اعتقاد، فما ضرنا لو دعونا تلك الأقوال مبالغة شعرية مصدرها رقة العواطف ومحبة الجمال. وهذا في عرف الشعراء، الشعر؟

نقلت إلينا آثار الآشوريين رسومًا تمثل مواكب الملوك سائرة وآلات الطرب تتقدمها، وحدثنا مؤرخوهم عن الموسيقى فقالوا إنها عنوان المجد في الحفلات ورمز السعادة في الأعياد. أجل، فالسعادة بدونها تحكي فتاة قطع لسانها. فالموسيقى لسان جميع أمم الأرض، سبحت معبوداتها بالأناشيد ومجدتها بالألحان، وكانت التراتيل – وهي الآن فرض كالصلاة يقدمونها في المعابد، وكمحرقات يقفونها على القوة المعبودة. محرقات مقدسة مبدأها عواطف النفس. صلوات

يهذبها القلب وما أكملته اهتزازات المشاعر. أنفاس حرة ما زلفتها الألفاظ بل تظرّفت بها أنفاس، أثارتها ندامة الملك داود، فملأت أناشيده أرض فلسطين وابتدعت أشجانه أنغامًا شجية مؤثرة منبعها انفعالات التوبة وحزن النفس، وكوسيط قامت مزاميره، بينه وبين الله، تطلب له مغفرة زلاته، وكأن رنات قيثارته قد انبثقت من قلبه المنسحق وسرت مع قطرات دمه إلى أصابعه، فكانت أعمال تلك الأصابع عظيمة عند الله والناس، وهو القائل: «هللوا للرب، سبّحوا الرب بصوت البوق، سبّحوه بالمزامير والقيثارة، سبّحوه بالطبل والدفوف، سبّحوه بالأوتار والأرغن، سبّحوه بصوت الصنوج، سبّحوه بصنوج التهليل وكل نسمة فلتسبّح الرب». وجاء في الأسفار أن ملائكة من السماء تأتي في آخر الدهر، نافخة الأبواق في جميع أقطار العالم فتستفيق من صوتها الأرواح وتلبس أجسامها وتنشر أمام الديان. لقد عظم كاتب هذا السفر الموسيقى إذ أنزلها منزلة رسول من الله إلى أرواح البشر، وما قول الكاتب إلا صورة مشاعره، وعلى نوع كلام ينطبق على اعتقادات معاصريه.

وجاء في بدء مأساة ابن البشر، إن التلامذة سبّحوا قبيل ذهابهم إلى بستان الزيتون حيث قبض على معلمهم. وكأني الآن أسمع نغم تلك

التسبيحة صادرًا من أعماق نفوس حزينة رأت ما سيحل برسول السلام فتنفست عن نغمة مؤثرة نابت عن كلمة الوداع.

تسير الموسيقى أمام العساكر، إلى الحرب فتجدد عزيمة حميتهم وتقويهم على الكفاح، وكالجاذبية تجمع شتاتهم وتؤلف منهم صفوفًا لا تنفرق. ما سارت الشعراء، أمام الكتائب إلى ساحات القتال، موطن المنية، لا ولا الخطباء، ما رافقتهم الأقلام والكتب، بل مشت أمامهم الموسيقى كقائد عظيم، يبث بأجسامهم الواهنة قوة تفوق الوصف، وحمية تنبه في قلوبهم حب الانتصار فيغالبون الجوع والعطش وتعب المسير، ويدافعون بكل ما في أجسادهم من القوة، وراءها يسيرون بفرح وطرب ويتبعون الموت إلى أرض العدو المبغوضة، كذا يستخدم ابن آدم أقدس ما في الكون لتعميم شرور الكون.

الموسيقى رفيقة الراعي في وحدته، وهو أن جلس على صخرة في وسط قطيعه نفخ بشبابته ألحانًا تعرفها نعاجه فترعى الأعشاب آمنة، والشبابة عند الراعي كصديق عزيز لا تفارق، وسطه، ونديم محبوب تستبدل سكينة الأودية الرهيبة برياض مأهولة، وتقتل بأنغامها الشجية وحشتها، وتملأ الهواء أنسًا وحلاوة.

الموسيقى تقود أظعان المسافرين وتخفف تأثير التعب وتقصر مديد الطرقات. فالعيس لا تسير في البيداء إلا إذا سمعت صوت الحادي. والقافلة لا تقوم بثقيل الأحمال إلا إذا كانت الأجراس معلقة برقابها. ولا بدع، فالعقلاء في أيامنا هذه يربون الضواري بالألحان ويدجنونها بأصوات عذبة.

الموسيقى ترافق أرواحنا وتجتاز معنا مراحل الحياة، تشاطرنا الأرزاء والأفراح وتساهمنا السراء والضراء. وتقوم كالشاهد في أيام مسرتنا وكقريب شفوق في أيام شقائنا.

يأتي المولود من عالم الغيب إلى دنيانا، فتقابله القابلة والأقارب بأغاني الفرح. متأهلين بأناشيد الابتهاج والحبور، يحييهم عندما يرى النور بالبكاء والعويل، فيجيبونه بالتهليل والهتاف، كأنهم يسابقون بالموسيقى الزمان على أفهامه الحكمة الإلهية.

وإذا ما بكى الرضيع اقتربت منه والدته وغنت بصوتها الموسيقى المملوء رقة وحنوًا فكيف عن البكاء، ويرتاح لألحان أمه المتجسمة من الشفقة وينام. وفي ألحان الوالدة ونغمتها قوة توعز إلى الكرى ليغمض أجفان طفلها، وتشارك تلك الألحان السكينة بهدؤها فتزيدها حلاوة وتمحو رهبتها وتملأها سحرًا من أنفاس الأم الحنون، حتى يتغلب

الطفل الرضيع على الأرق وينـام، وتطـير نفـسه إلى عـالم الأرواح. ولا ينام الطفل إذا تكلمت الوالدة بلسان شيشرون أو قرأت ابن الفارض.

ينتقي الرجل شريكة حياته وتتحد نفسهما برباط الـزواج متممـين وصية كتبتها الحكمة منذ البدء على قلبيهما، فيجتمع الأقارب والخـلان ويفرحون بالأناشيد والأهازيج ويقيمون الموسيقى شاهدًا عندما يربط القران عرس المحبة، فكأني بها يوم التعـريس، صـوت رهيـب تمازجـه الحلاوة، صوت يمجد الله في مخلوقاته، صوت ينبه الحياة النائمة لتـسير وتنتشر وتملأ وجه الأرض.

وعندما يأتي الموت، ويمثل آخر مشهد مـن روايـة الحيـاة، نـسمع الموسيقى المحزنة ونراها تمـلأ الجـو بأشـباح الأسـى، في تلـك الـساعة الموجعة إذ تودّع الـنفس سـاحل هـذا العـالم الجميـل وتـسبح في بحـر الأبدية، تاركة هيكلها الهيولي بين أيدي الملحنين والنـدَّابين، فيتـأوهون بنغمات الحزن والأسف ويلحقون تلك المادة الثرى ويـشيّعونها بألحـان مفادها الضيم وأناشيد معناها الكمد واللوعة. نغمات يحيونها مـا بقـى التراب فوق التراب، وإن بليت يبقى صداها في خلايا الجوارح مـا دام القلب يذكر من مضى.

●●●

جالست من ميزه الله بعذوبة الصوت وحباه إدراك فلسفة التنغيم والإيقاع فرأيت السامعين حوله مصغين، صاغرين، ماسكين أنفاسهم، محكومين بفواعل السكينة، ساخصين إليه كالشعراء المستسلمين لقوَّة فعَّالة، توحي إليهم أسرارًا غريبة، حتى إذا ما انتهى الملحّن من إنشاده تنهدوا ذاك التنهُّد الطويل - آه!! صادرة من أفئدة هيَّجت فيها الألحان عواطف مكنونة فلذّ لها التأوه. آه! تتنفسها قلوب حرّي أنعشتها الذكرى. آه! كلمة صغيرة لكنها حديث طويل. آه!! ما قالها سامع كلام الملحّن لا ولا ناظر وجهه، بل تنهدها من أعار أذنًا لنشيد نسج من مقاطع أنفاس متقطعة. أنفاس حية مثلت له فصلاً من رواية حياته الماضية أو فشت سرًّا أكنّته أضلعه.

وكم تأملت وجه سامع حساس فرأيت ملامحه تنقبض تارة وتنبسط طورًا وتنقلب مع تقلبات النغم. واهتديت بخلقه إلى خُلقه واستحكيت باطنه بواسطة ظاهره.

والموسيقى كالشعر والتصوير، تمثل حالات الإنسان المختلفة وترسم أشباح أطوار القلب وتوضح أخيلة ميول النفس وتصوغ ما يجول في الخاطر وتصف أجمل مشتهيات الجسد.

●●●

النهاوند

(النهاوند) يمثل تفريق المحبين ووداع الوطن ويصف آخر نظرة من راحل عزيز. يمثل شكوى آلام مبرحة بين ضلوع قوامها لظى الشوق. النهاوند صوت من أعماق النفس الحزينة. نغم متحسر من مهجور يسأل عطفًا على رمقه قبل أن يضنيه البعاد. زفرات يائس أنشأتها المرارة وتنهدات قانط بثتها لوعة من أتلفه الصبر والتجلد. النهاوند يمثل الخريف وتساقط أوراق الأشجار المصفرّة بسكينة وهدوء، وتلاعب الريح بها وتفريق شملها. النهاوند صلاة والدة نأى ابنها إلى أرض بعيدة فباتت بعده تغالب النوى فيهاجمها بعوامل اليأس وتصده بفواعل الصبر والأمل. وفي النهاوند معنى بل معانٍ وأسرار يفهمها القلب وتفهمها النفس. أسرار يحاول بثها اللسان وكشفها القلم فيجف هذا وتنقطع أوصال ذاك.

الأصفهـان

وأصغيت (للأصفهان) فشاهدت، بعين سمعي، آخر فصل من حكاية عاشق دنف، مات حبيبه فتفطعت عرى آماله وتواصلت زفراته فهو ينوح بآخر مات في جسده من الحياة ويرثى ببقايا ما في حياته من الرمق. الأصفهان آخر نفس من منازع واقف، في مركب الموت، بين شاطئ الحياة وبحر الأبدية. الأصفهان رثاء الذات بغصات متقطعة متواصلة وتنهدات عميقة. نغمة صداها سكينة تمازجها مرارة الموت والأسى وحلاوة الدمع والوفاء.

وإن كان النهاوند حنين من يحيا ببعض الأمل، فالأصفهان أنين من انفصمت عرى آماله.

الصـــبا

نسمع (الصبا) فتستفيق منا قلوب حجبتها لحـف الغـم وتـستيقظ وترقص بين الضلوع. فالصبا نغمة فرح تنـسى المـرء أتراحـه فيطلـب الراح ويشربها بلذة غريبة ويـستزيد منهـا كأنـه يعلـم أن خمـرة المـسرة تسابقها فتحكم بالعاقلة. الصبا حـديث بخلـوة فحظـى بلقـاء محبوبـة جميلة في حقل بعيد، فـأولاه اللقـاء فرحًـا وابتهاجًـا. الـصبا كنـسيمات الصبا تمر فتهتز لها أزاهر الحقل تيهًا وابتهاجًا.

الرصـــد

و(للرّصد) في سكينة الليل، وقع في المشاعر يحاكي تـأثير كلـمات رسالة جاءت من عزيز غال، انقطعـت أخبـاره في بـلاد بعيـدة، فجـاء الكتاب يحيي عاطفة الأمل ويعد النفس باللقاء. وكأني بمغنـي الرصـد يخبر بقرب الفجر واندحار الظلام، وقد قيل: «إن جهز ليلك فارصد».

وفي البعلبكة عتاب رقيـق يـراوح بـين اللـوم والتعنيـف، ولحنهـا مزيج من النهاوند المؤثر والصبا المفرح وفعلها في النفس فعلها.

والآن وقد كتبت هذه الصفحات، أراني كطفل ينسخ كلمـة مـن نشيد طويل، غنته الملائكة عنـدما جبـل الله الإنـسان الأول، أو كـأمي يستظهر جملة من كتاب وضعته الحكمة عـلى صـفحات المـشاعر قبيـل ابتداء الدهر.

فيا أيتها الموسـيقى، يـا أوتـربي المقدسـة(١) لقـد رقـصت أخواتـك الفنون فيما غبر من الأجيال زمنًـا، ورضـعن في معاقـل النسيان آخـر، وأنت تهزئين بهنَّ ولم تتنازلي عن مسرح الـنفس يومًـا واحـدًا، فكأنـك صدى القبلة الأولى التي وضـعتها آدم عـلى شـفتي حـواء. صـدى لـه

(١) أوتربي: عروس آلهة الموسيقى عند قدماء اليونان.

صدى له صدى، تتعامل وتتناسخ وتكتنف الكل وتحيا بالكل، يلذ لعمالها عملهم ويفرح الغير الموهوب من مكارمها بسمعه.

يا ابنة النفس والمحبة. يا إناء مرارة الغرام وحلاوته. يا أخيلة القلب البشري. يا ثمرة الحزن وزهرة الفرح. يا رائحة متصاعدة من طاقة زهور المشاعر المضمومة. يا لسان المحبين ومذيعة أسرار العاشقين. يا صائغة الدموع من العواطف المكنونة. يا موحية الشعر ومنظمة عقود الأوزان. يا موحدة الأفكار مع نتف الكلام ومؤلفة المشاعر من مؤثرات الجمال. يا خمرة القلوب الرافعة شاربها إلى أعالي عالم الأخيلة. يا مشجعة الجنود ومطهّرة نفوس العابدين. يا أيتها التموجات الأثيرية الحاملة أشباح النفس ويا بحر الرقة واللطف، إلى أمواجك نسلم أنفسنا، وفي أعماقك نستودع قلوبنا، فاحمليها إلى ما وراء المادة وأرينا ما تكنه عوالم الغيب.

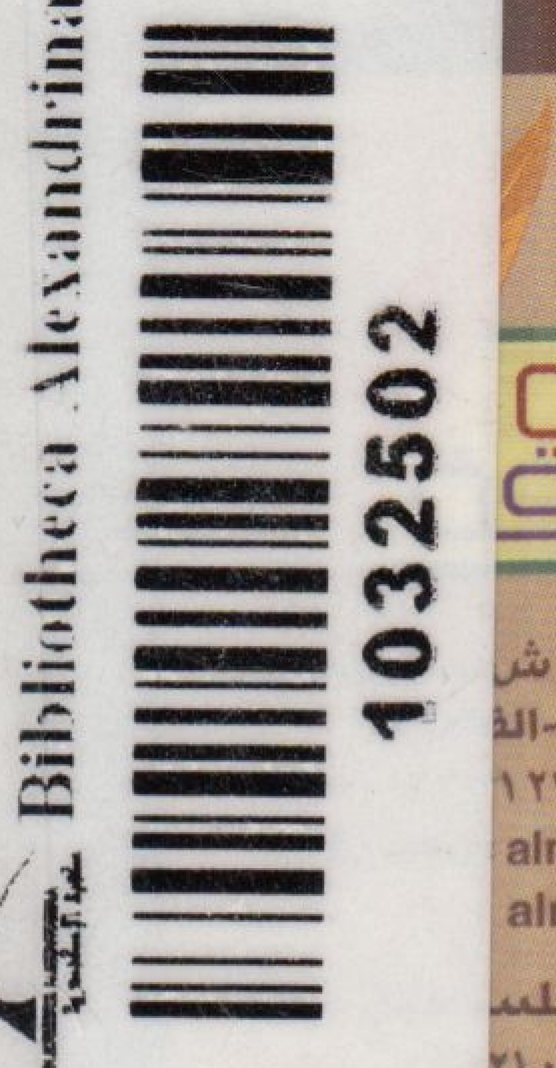
تكاثري يا عواطف النفوس وتعاظمي يا مشاعر القلوب وارفعي أيادي ذوي الأيادي لبناء الهياكل لهذه الآلهة العظيمة. وأنزل يا ملاك الوحي على قلوب الشعراء واسكب في خلايا قريحتهم مديحًا وتسبيحًا لهذه العظيمة المقدسة. واكبري يا مخيلة الرسامين والنقاشين وابتدعي لها صورًا وأشباحًا.

كرموا يا سكان الأرض كنهتها وكاهناتها وعيّـدوا لـذكر خـدّامها وشيدوا لهم التماثيل صلي أيتها الأمـم وسـلمي عـلى أورفيـوس وداود والموصلي، وعظمي ذكر بيتهوفن وفـاغنر ومـوزار. وغنـي يـا سـوريا باسم شاكر الحلبي، ويا مصر باسم عبده الحمولي. كبِّر أيها الكون الالي بثّوا في سمائك أنفسهم وملأوا الهواء أرواحًا لطيفة وعلِّموا الإنـسان أن يرى بسمعه ويسمع بقلبه آمين.

□□□

فهرست

WWW.ALMMARFA.COM



دار العلم والمعرفة
٢٠ ش عبد المنعم رياض - من ش
زهراء مدينة نصر - الق
ت: ٠١٢٣٨٨٨٩٣٠ - ١٢٣٨
almmarfa@yahoo.com
almmarfa@gmail.com
عبلين - الجليل - فلس
جوال: ٠٥٢٣٠٧٧٣٣٤
٠٥٢٨٥٠٢٨٢٦
فاكس: ٠٤٩٥٠٢٤٧٢ (٠٠٩٧٢)

